10ème Année No 909

Le Caire - 4 - 12 - 1950

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٧٠ — ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠» — السنة الثامنة عشرة

مثل الشيخ ...

مثل الشيخ كمثل الدوح إذا آن نعم ثم هاج واصفر وأوشك أن يكون حطاما؛ لا يهتم بأصوله في الثرى لأنها عجزت عن امتصاص الغذاء، فحسبه منها أن تماسك وأن تصون سيقانه وأوراقه، يخشى عليها نفحة البرد ولفحة الحر وهبة الريح. وكلما تغير وجه السماء، أو اشتدت سرعة الهواء، ارتاع وانكمش وتوقع النهاية. فإذا صحا الجو وسرى النسيم الفاتر يداعب الأغصان الملد والأوراق النضرة، تبلد من الجمود فلا يحس نشاطاً لدعابة ولا اغتباطاً بتحية! وهكذا الشيخ! تذويه السنون وتضويه العلل فتيبس آماله وتجف أمانيه، فيعيش بالاجترار أكثر مما يعيش بالأكل؛ ويتجه إلى الوراء ليتذكر، ولا يتجه إلى الأمام ليأمل؛ ويحفل بأخبار المرض والموت والدواء، أكثر مما يحفل لأخبار الرياضة والولادة والغذاء. فإذا سمع بمرض صديق سأل: ما مرضه؟ ومن طبيبه؟ وما أسباب هذا المرض؟ أهذه ارتفاع في الضغط، أم ازدياد في السكر، أم تصلب في الشرايين، أم ضعف في القلب، أم اضطراب في الغدد؟ وإذا قرأ في الصحف نعي رجل سأل بأي علة مات؟ وكم سنة عاش؟ فإذا كان من طوال العمر سأل بماذا طال عمره؟ أكان يتبع في الطعام نظاماً خاصاً، أم كان يسلك في الحياة خطة سيئة؟ وإذا كان من قصاره سأل لماذا قصر عمره؟ هل كان يفرط على نفسه في الأكل أو في الطعام أو في الشراب أو في الدخان؟ أم هل كان يسرف على جسمه في العمل أو في التفكير أو في الهم؟ وإذا وقع على جملة في الطب أو مقالة في العلاج أو إعلانا عن دواء، تلمس في كل أولئك ما يعيد الصحة أو يؤخر الشيخوخة أو يطيل الأجل. وإذا جلس شيخ إلى شيخ لا يسأل أحدهما الآخر عن شدة الغلاء، ولا عن أزمة الجلاء، ولا عن قضية الجيش؛ إنما يسأله عن مقدار سنه، ونوع أكله، وساعات نومه، ومن الطبيب الذي يعالجه، والدواء الذي يفضله، والنظام الذي يتبعه. وإذا رجا الناس من العلم أن يكشف عن أسرار المادة، ويهيمن على قوى الطبيعة، ليهبط بالفردوس إلى الأرض، ويفيض من السعادة على العالم، رجا الشيخ منه أن يحرس كل مادة، ويختبر كل قوة، ويسبر كل غور، ليستخرج من النبات الخفية والمناجم المجهولة العقار الذي يرجع الشباب، والإكسير الذي يطيل الحياة!

وإذا الشيخ رأى الشباب الريان يمرح في الطريق، والجمال الفتان يخطر في النادي، انصرف ذهنه عن الوسامة والقسامة والفتنة واللذة، إلى العضلات القوية، والحركات الناهضة، والأعصاب المتينة، والشرايين المرنة، والنفوس المتفتحة، فيتحسر على ماض لا يعود، ويتأوه من حاضر لا يبقى!

وإذا الشيخ قال أف فما مل — حياة وإنما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب — فإذا وليا عن المرء ولى

احمد حسن الزيات

تحية إلى صديق راحل

للأستاذ محمود رزق سليم

توفي الصديق الكريم ، عبد العزيز الرافعي ، في صباح الخميس ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٠ م فجاءت وفاته نجم لامع ، وتوارت ومضات أمل ضاحك . وقد لاقى ربه بعد مرض لم يمهله ، ولم يشفق عليه ، وهو شاب القلب ، فتي الفؤاد ، يقظ الرأي ، موثوب الرجاء ، يعد نفسه إعدادا ممتازا لمستقبل سعيد يخدم به دينه ومليكه ووطنه

وقد تلقى أصدقاؤه ومعارفه نبأ وفاته بقلوب واجفة ، وعيون دارفة ، ونفوس ولهى ، وشعروا كأن ساعدا قويا قد اختطفه من بينهم على غرة ، وبدا خالة قد استلبته منهم على غير أهبة . ولكنه الأجل الواقي ، والقدر المحتوم ، والموت النقاد .

وقد نعاه الناعون ما بدا لهم الأسى ، ورثته الصحف بما من لها الرثاء ، وذكروا طرفا من أخبار حياته الحافلة وبقي منها الشيء الكثير

وقد كان عبد العزيز واسع الأفق في نواح من الحياة كثيرة . فقد هيأت له ملابساته – مع ذكائه وفطنته – أن تكشف له كثيرا من حقائقها ، كما دفعته إلى تجربة الأمور وملاحظتها ، فاكتسب من وراء ذلك مرانة وخبرة ، وحنكة وحسن بصر بالأمور ومعالجتها

وقد كان منذ صغره مشغوفا بأخيه الأكبر الأستاذ الإمام الرافعي ، ويرى فيه نموذجا ساميا يقتدى به . وقد جمعت بينهما ظروف الحياة ، أكثر مما تجمع بين شقيقين . فرحل معه إلى السودان ، وتسلم بكلية غوردون . ثم عاد إلى مصر ، فاندمج في سلك طلاب الأزهر ، مجدا بينهم حتى تخرج به بأرقى شهاداته حينذاك . وأرسل في بعثة علمية إلى إنجلترا ، فلبث بها زهاء خمسة أعوام ، ازداد فيها علما بالحياة ، ومعرفة بمذاهبها ومآتيها وتخصص في دراسة التاريخ الإسلامي وتاريخ الأديان ، وهما من أهم الزاد الثقافية صقلا للأذهان ودعما للتجارب وتبليغا إلى الحق

ولما بلغ أخوه الأكبر صهوة المشيخة الجليلة ، للمرة الثانية ، كان عبد العزيز – وبخاصة بعد عودته من إنجلترا – أشد سواعده القوية ، ومن أقرب مستشاريه إلى نفسه . فحمل عنه شيئا من العبء ، على مقدار طاقته وجهده ، وطبيعي أن يصبح في ذلك الحين ، موضعا للأمل والآملين ، كما كان محطا للنقد والناقدين

وقد استطاع عبد العزيز في هذه الحقبة – وهو على كثب من أمور الأزهر – أن يدرسها ظاهرها وباطنها ، صريحها ومؤولها ، وأن تتكشف له منها مواضع الداء ، ويظهر الدواء . ولا أكون مخطئا إذ أذكر أن حب عبد العزيز للأزهر ، وشغفه به ، وأمله القوي في أن يسمق بنيانه ، وترتفع أركانه ، كان شيئا فوق مكنة الطالب الذي يشق سهده ، ويتعصب له

وقد عرف فيه إخوانه دماثة الخلق ، والمرح ، وبشاشة الوجه ، وابتسامة الثغر ، وحدة الحفاظ على علاته – كما كان مطارها لكل ذي حديث ، ولو كان فيه إملال . لا يصده عنه إلا تكيس وزن – وربما نعى عليه بعض خلطائه أنه يلقى عدوه كما يلقى صديقه ، فلا يرم ولا يتنكر – وما كانت هذه منه إلا لرحابة صدره وحسن سياسته ، وحبه لتلاق ما يستطاع باللطف تلافيه . ولذلك ظل كثير ممن ينقدونه ويحملون عليه ، يبجلون لذاته ، ويحبونه لشخصه ، ويلقونه لقاء الإخوة الكرام

ولما اختير إماما للحضرة العلية الملكية تفتحت له من الحياة سبل جديدة ، ازداد بها صيانة ومعرفة ، وأخذ يخطو ويبرز نحو الصفوف الأولى بين رجالات الوطن . وكان إذ ذاك حركة دائبة . فيؤدي واجبه أمام مليكه ، ويلقي دروسه وخطبه ، ويذيع في المذياع ، ويكتب في المجلات ، في الأمور الدينية والاجتماعية والتاريخية

وقد كان عبد العزيز عالما أزهريا ، بالمعنى الذي يفهمه التاريخ والعرف . وصحيح ذلك – فيما أعتقد – إلى حبه العميق للأزهر ، وما في الأزهر من علم ، وما له من تقاليد . فهو وإن بدا مترفا في بعض حياته ، جانحا إلى الأخذ بأساليب العيش الحديثة . كان شديد الحنين إلى الحياة القروية الساذجة الهادئة التي تتمثل البساطة في كل شيء من ملبس ومأكل ونحوهما ، وهو سريع الجنوح إليها ما واتته الفرصة . ولهذا كان أحب الأيام إليه ما قضاه

في بلده بالصعيد «الراغة» .. بين عشيرته

وأهم خصوصيات العالم الأزهري — فضلا عن معرفة الشريعة الغراء — حبه الجدل والمناقشة، وضربه في سوق الحجة والدليل، وعدم استسلامه لخصمه في سهولة ويسر. وقد كان عبد العزيز في ذلك، من الطراز الأول، لا يكاد المرء يدخل معه في نقاش حتى يفيض بالاعتراض والاستشهاد، وبالتدليل والتعليل، والموازنة والترجيح، حتى يصل إلى قرار الحق. يشهد بذلك تلاميذه الكثيرون في كليات الأزهر، وأصدقاؤه، وأعتقد أن أصحاب الفضيلة الأجلاء أعضاء لجنة الفتوى، قد لمسوا فيه هذه الخصوصية، خلال عضويته بها

وكان ثابتا في معرفة الشريعة السمحة وأحكامها، خبيرا بمذاهب أئمتها على اختلافهم، بصيرا بمذاهب المتكلمين من علمائها. وقد أخرج كتابا فيها: «تقي الدين بن تيمية الحراني» أبان فيه عن جهاد هذا العلامة في سبيل دينه ونصرة عقيدته، مبينا أنها عقيدة السلف، وأنها بعيدة عن مزالق المبتدعة من متطرفي الفلاسفة. وقد تلقيت ثناء مستطابا على هذا الكتاب من كثير من الفضلاء.

وقد كان مؤرخا واعيا لتطورات التاريخ الإسلامي ونقلب دوله، منقبا عن ذلك في كتب التاريخ الإسلامي الشرقي منها والغربي

وكان أديبا بكل ما تحمل هذه الكلمة من المعاني، فقد أوتي حافظة قوية كنت أغبطه عليها، سلمة يستقي عيون الأدب ونقائضها وحوادثها إلماما محمودا، وكثيرا ما يجود الأبيات والمعارف الأدبية والأمثال ونحو ذلك، عند أدنى مناسبة — وكان يطرب للدعابة اللطيفة والنكتة الرائعة — ولو على حسابه .. ويأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلا «لقد قتلنا كثرة الجد» ولكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم والتعليق على الدنيا، مع الرضا والاستسلام لقضاء الله وقدره

وكان كثير البحث في مظان اللغة، يحفظ من ألفاظها عددا تكثر فيه المعاني، أو يسمى من المعاني القريبة أو المستعملة، ويعنى بالأنماط الطريفة في اللغات، وربما كتبه في كل لفظة من المعاني. وأغلب الظن أن في مسجلاته كثيرا منها

هذا إلى أنه كان كاتبا حسن الكتابة، وخطيبا رائع العبارة، وعن أوتي مقدرة حية على تدبيج المقالات دينية واجتماعية وتاريخية، وهذه مقالاته في مجلة «رسالة الإسلام» وغيرها، خير شاهد

ولا نقول جديدا إذا نوهنا بدروسه الدينية وخطبه المنبرية، فإنه أسبغ عليها مسحة من التجديد، وغذاها بما تفيض به ثروته الأدبية وثقافته الواسعة، فخرجت بجديد أسلوبها ومادتها، عصرية بريئة من السمت التقليدي القديم

ومنذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أمهات كتب الحديث والفقه والقضاء الإسلامي، وهو كتاب «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف بن حيان، المشهور بوكيع. استنادا إلى نسخته الشمسية الوحيدة — على ما أعتقد — وأنفق فيها النفيس من وقته، والزهيد من راحته، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة، فأخرجت منها جزءين وبقي جزآن، وقد تسنى لي الاطلاع على الجزءين المطبوعين — وإن كانا لم يخرجا إلى السوق بعد — فوجدته أبدع في الكتاب بالتصحيح والتعليق وشرح الغامض وتخريج الأحاديث، بما يشعرك بعلمه الغزير وأدبه الجم وإحاطته بمسالك الفقه ومواضع الحديث ومظان الأدب، وبما يشعرك بصبره ودأبه وجهده في سبيل خدمة دينه وشريعته — وآمل أحد خلصائه وأحبابه ينجز من الكتاب ما بقي، حتى يخرجه إلى القراء، ويكون لهما أثرا خالدا وذكرا طيبا.

وقد عني الفقيد أخيرا بموضوع من أجل الموضوعات — وأدقها — «وهو تطور الفقه الإسلامي متأثرا بأحوال الدول الإسلامية» وكان كثير التفكير فيه، والحديث في نواحيه، ولا أدري إلى أي مرحلة من مراحله بلغ

وبعد، فهذه عجالة في ذكرى الفقيد العزيز دعتني إليها مقتضيات صداقة كريمة دامت عشرين عاما على أنبل ما تكون الصداقات

رحمك الله أيها العزيز رحمة واسعة، وعزى فيك الوطن والأصدقاء.

محمود رزق سليم

مدرس الأدب في كلية اللغة العربية

الغزالي وعلم النفس

للأستاذ حمدي الحسيني

— ٩ —

التحليل النفسي

التحليل النفسي طريقة عملية لمعرفة الرغبات المكبوتة في اللاشعور والعقد النفسية الناشئة عن هذا الكبت. وأول من فكر في هذه الطريقة ووضع قواعدها ومصطلحاتها العلمية العالم النفسي المعلم – سيجمند فرويد – وقد تقدم التحليل النفسي في السنين الأخيرة تقدماً كان له أثر كبير في علم النفس فتطور هذا العلم بواسطته تطوراً عظيم الأهمية بعيد الأثر ولا سيما من الناحية اللاشعورية. وتتلخص طريقة التحليل النفسي في جعل المريض المراد تحليل نفسيته على أن يطلق لنفسه العنان فيدع أفكاره تأتي وتروح بدون أن يضبطها أو يراقبها. وهكذا تكون أفكاره لا علاقة لها بالعالم الخارجي وتصبح حاله أشبه ما تكون بحالة الطريق الحالم. ثم يطلب منه ألا يقاوم تلك الأحلام وما عليه إلا أن يقول كل ما يخطر بباله فيذكر أوهاماً وعبارات مضطربة وألفاظاً لا ارتباط بينها. بعضها عن حوادث بعيدة حدثت له في الطفولة وبعضها حصل له في بقية أدوار حياته الأخرى وأكثرها يتعلق بآلامه وآماله وبكل ما هو مؤثر في نفسه وسلوكه.

ويجب على المحلل أن يكون شديد العطف على المريض فيعينه على البحث في قرارة نفسه حتى يصل به إلى حادثة أو فكرة معينة يتخذها كمفتاح يفتح به اللاشعور فيتوصل بها إلى معرفة سبب الاضطراب في السلوك والأعصاب. ومتى بلغ المحلل هذه النقطة أمكنه أن يعرف "كل شيء". فالتحليل النفسي إذاً مفتاح اللاشعور والغاية منه معرفة سبب الاضطراب في السلوك والأعصاب. ونحن نرى من الحق أن نبسط هذا الموضوع بعض البسط حرصاً على الفائدة وتوطئة لفهم ما عند الغزالي في هذا الموضوع فنقول:

عندما اصطدم الإنسان بالمجتمع وما فيه من قيود انكبتت رغباته وميوله انكباتاً سبب له كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية فخلقت هذه الأمراض النفسية والعصبية للمريض جحيماً مستعراً لا تنطفئ ناره ولا تخمد أواره. والذي يؤسف له حقاً هو أن أكثرية البشر مريضة نفسياً أو عصبياً، أو نفسياً وعصبياً معاً وإن اختلفت هذه الأمراض قوة وضعفاً ووضوحاً وغموضاً وقد مضى على البشر القرون الطويلة وهم يتقلبون في جحيم من الأمراض وهم لا يشعرون. ولكن لم تخف هذه الحقيقة المؤلمة على أهل الفكر من أبناء الأجيال الماضية، فقد عرفوا هذه الحقيقة لأنهم أكثروا تدبرها ولكنهم حاروا في سرها وضلوا الطريق إلى فهم كنهها وحقيقة أمرها، وأخذوا يتخبطون في هذا الأمر تخبط العشواء في الظلام لا يخرجون من حالة حالكة إلا ليترددوا في هوة أشد حالكة حتى ألهم الله – فرويد – بدراسة العقل الباطن وما في هذا العقل العجيب من عواطف مكبوتة ورغبات متصادمة متلاطمة وعقد مبرمة محكمة ومركبات عصبية مضطربة فاهتدى إلى حل هذه المشكلة النفسية بطريقة التحليل التي أشرنا إليها في صدر هذا المقال ونحن نعتقد أن الإنسانية تعلم عظم الانتفاع بطريقة فرويد — في التحليل النفسي متى دخل علم النفس التحليلي البيوت والمدارس والمصانع والمزارع وعمت العيادات والمستشفيات النفسية المدن والقرى. نقول هذه وأملنا كبير بتحقيق هذه الأمنية لأننا رأينا المدى الواسع الذي قطعه علم النفس التحليلي في الغرب خلال نصف قرن ذلك المدى الذي يبشرنا بقرب انتشار هذا العلم الجليل في الشرق فينتفع به الشرقيون عامة ويصبح الشرقي وقد تعود أن يذهب إلى العيادة النفسية لمعالجة الخوف والخجل كما يعالج السل والسرطان. ولا يفوتنا أن نذكر هنا شيئاً جليل الخطر في موضوع التحليل النفسي وهو أن خطورة العقدة النفسية وخطرها في خفائها وعدم الشعور بها، فإذا ما عرفت العقدة وأصبح صاحبها شاعراً بها انحلت وبطل سحرها. ومتى انحلت العقدة انتهى السلوك الشاذ الذي كان متسبباً عنها وهذا ما يرمي إليه التحليل النفسي ويعمل لأجله المحللون النفسيون.

ولندع الآن الإمام العلامة أبا حامد الغزالي يتحدث عن

التحليل النفسي والطريق الذي يعرف به المرء عيوب نفسه .

يقول أبو حامد الغزالي

إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه ، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه ، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق

الأول . أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته

الثاني . أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنية والظاهرية ينبهه عليه

الثالث . أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه

الرابع . أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو من شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه غيره .

هذه طرق الغزالي الأربع في التحليل النفسي . فالطريقة الأولى قريبة جدا من طريقة علم النفس الحديث ونرى ذلك واضحاً عندما نتابع ما يقتضيه العلم الحديث من الإنسان حين يراد تحليل نفسيته من أن يطلق العنان لأفكاره أمام المحلل وبين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته فيعرفه ذلك الشيخ عيوب نفسه وطرق علاجها . والطريقة الثانية هي الاستعانة بالصديق في معرفة العيوب وهذه الطريقة شبيهة بالأولى من حيث أنها استعانة بالغير في التحليل . إلا أن الأولى تحليل بواسطة اخصائي (شيخ بصير بعيوب النفس) – والثانية تحليل بواسطة صديق بصير في المراقبة دقيق في الملاحظة . وأما الثالثة والرابعة فهما طريقتان للتحليل الذاتي والتأمل الباطني وطريقة التحليل الذاتي أفضل طرق التحليل لذوي البصائر النيرة والعقول الراجحة .

ومن حق الغزالي علينا أن نذكر له معرفته سر العقدة النفسية وإدراكه أن خفاء العقدة عن صاحبها هو السبب الذي يجعل حلها صعباً وشفاءها في بعض الأحوال مستحيلاً وإدراكه أيضاً أن معرفة العقدة والشعور بها يسهل حلها والخلاص من شرها . يقول – فمن تكون بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم . ثم يقول في موضع آخر : إن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض النفس مما لا يعرفه صاحبه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه

ولنسمع الآن ما عند الغزالي من طرق المعالجة النفسية يقول:
– ينظر في الداء فإذا كان البخل مثلا فعلاجه بذل المال . ولكن قد يبذل المال إلى حد يصير تبذيراً ، فيكون التبذير أيضاً داء ، فالمطلوب إذن هو الاعتدال ، وهذا الاعتدال الذي يذكره الغزالي هو السلوك السوي الذي يعمل للحصول عليه التحليل النفسي لرد هؤلاء الشاذين في سلوكهم إليه . ولم تغفل بصيرة الغزالي الوقادة عن الصعوبة في رد الشاذ إلى الحد السوي من السلوك يقول – الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولا ينفك الإنسان عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين .

وسنتحدث في مقالنا القادم عن السلوك في نظر الغزالي إن شاء الله

حمدي الحسيني

شعر الحماسة عند العرب

للأستاذ احمد حسن الرحيم

شعر الحماسة لا يخلو منه أدب أمة من الأمم الراقية، وهو قطعة من تاريخ حروبها الداخلية والخارجية، وهو مظهر قوي يؤجج في النفس الحمية والحرص على الكرامة. ولكثرة حروب العرب كثر في أدبهم شعر الدماء والصدام. وقد تكيف العربي ببيئته القاسية وأذعن لما تطالب منه حفظاً لحياته، فالذي يعيش في خيمته عرضة لكل هجوم يباغته به عدوه من الإنسان أو الحيوان يجب أن يكون شجاعاً متيقظ الحركة لا تربكه المفاجآت. ولما كان الكلام من وسائل الدفاع - أيضاً - فقد وجب أن يكون سريع الارتجال، حاضر البديهة، بليغ الإجابة، وقد أحب العرب باديتهم وفضلوها على الحاضرة واحتقروا [illegible] وملاذها، قال القطامي :—

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأي رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا ... قنا سلباً وأفراساً حسانا

وقد كان العربي بحاجة مستمرة إلى سلاحه وجواده وقد روي عن حاتم الطائي الجواد المشهور أنه كان يجود بكل ما يملك إلى سائل إلا أنه يشق عليه جداً أن يجود بجواده أو حسامه، وهو على حق في ذلك لوجوده بلا آلة الحرب في مجتمع دموي يسلمه إلى القتل والهوان، قال الشاعر :—

فما منعت دار ولا عز أهلها ... من الناس إلا بالقنا والقنابل (1)

ولسعة الصحراء وتنقل العرب فيها عز عليهم أن يقعدوا لجبار متحكم، لماذا يحتملون الضيم وأرض الله واسعة، ومطية السفر حاضرة وقد أوصى بعضهم بعضاً بمغادرة دار الهوان.

قال عنترة العبسي يطري دار العز ولو كانت سعيراً مستعراً :—

لا تسقني كأس الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
كأس الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل.

(1) جماعات الخيل

وقال غيره :—

إذا جانب أعياك فاعمد لجانب ... فإنك لاق في بلاد معولا

فالعربي في صحرائه جواب آفاق لا يضيره بل يسره أن ينتقل من أرض إلى أخرى إذ لا تربطه بها أملاك أو مصالح لا تنقل. ولكثرة ترحال العرب كثر أدب الحنين إلى الديار ووصف الدمن والأطلال والفراق كثرة بينة.

ونتج من كثرة الحروب تعدد الزوجات لتكثير النسل (فالعزة للكاثر) ومن كان أكثر عدداً فقد نأى عنه الضيم، وفوقت سهامه على خصومه.

إذا هم أن يعيروا بالضيم أمهم ... بنو ناقة كانت كثيراً عيالها

وأسيء تعداد البنات حيث على الرجل وتبعة ضعف ينبغي أن يذود عنها.

ونسوتكم في الروع باد وجوهها ... يخلن إماء والإماء حرائر

فهم يستكثرون من النساء لزيادة النسل ولا يحمدون لمن أن يستكثروا من البنات، ولو كانت فتاة الصحراء كفتاة اليوم في حذق فن القتال لكان للعرب إلى المرأة نظرة أخرى. وقد ورد في تاريخ العرب ذكر نساء مقاتلات ولا سيما من الخوارج ولكنهن من القلة بحيث لا تستقيم بهن قاعدة. وقد تطور فن القتال وأصبح اليوم - يصالح المرأة، فقد كانت قديماً آلة الحرب تحتاج إلى عضل شديد، أما اليوم فقد أصبحت أجهزة دقيقة بجانب المهارة وقوة الأعصاب.

ولقد تمكن حب الحرب من نفس العربي، وساد نظام (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وأصبحت الحرب متمماً من الأماني الثلاث العزيزة التي لولاها لا يحفل الإنسان بحياته.

قال طرفة بن العبد :—

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري إذا نادى المضاف محنباً ... كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

وقال غيره : —

وكان أخي جوادا ذا حفاظ … وكان القتل للفتيان زينا

وقال غيره : —

وإني في الحرب الضروس موكل … بإقدام نفس لا أريد بقاءها

ومن الصواب أن شعر الإقدام والوعيد يذكي جذوة النفس، ويحفز إلى الأخذ بالثأر ويرهب الخصم العنيد، ولعل من أسباب انصراف العرب عن الملاحم الطويلة أنهم بحاجة إلى نوع من الشعر سهل الترديد، قصير مستقل بذاته، سهل حفظه، يردده قبيل الحرب أو بين الجموع المتشابكة — وقد جاشت الأرواح — ليقوى النفس على الثبات ويهيبها الإقدام والحرص على مواقف البطولة — وجل ما ورد في ديوان الحماسة من شعر الحرب قصير موجز مع احتمال أن أبا تمام قصر منه بانتخابه النزر القليل.

ومن شعر الحماسة نرى أن قسما من العرب يرى أن من سمات الشجاعة والمروءة أن يكون الإنسان سريع الاستجابة لدواعي الشر، متحككا به، إمعة مع كل شرير، لأن ذلك من مظاهر القوة والبسالة.

قال الشاعر : —

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم … لأية حرب أم بأي مكان

وقال غيره : —

لا يسألون أخاهم حين يندبهم … في النائبات على ما قال برهانا

وقال غيره : —

وأحيانا على بكر أخينا … إذا ما لم نجد إلا أخانا

وقال غيره : —

وإني لا أزال أخا حروب … إذا لم أجن كنت مجن جاني

غفر الله (لسوار بن المضرب) وكان في عون من عاصره، وبلغت هذه غاية حب الخصام والنزق أن يكون حريصا على أن يستمر حبل الشر قائما لم يجن جنى الجناة وسار لهم وقاء لاستدامة شرهم وخالهم، وإنما أسعده الحظ جلي على الناس تلك الأمنية.

ومن العجب على أفراد العشيرة : (ألا يظلموا الناس حبة خردل) أو أن يطيروا من الصريخ دليلا على دعواه، وطالما لا تقبل أن يبدأوا المعركة.

والمستقري لشعر الحماسة في أدب العرب يجد منه ما يمثل عاطفتين متضادتين : عاطفة الرأفة بالأقارب ورعايتهم، وعاطفة القسوة عليهم، والمثل في كلتا العاطفتين عديدة.

قال أوس بن حبناء في مقاومة الشر وإن جاء من ذوي القربى

إذا المرء أولاك الهوان فأوله … هوانا وإن كانت قريبا أواصره

وقال غيره : —

ونحن بنو عم على ذات بيننا … زرابي فيها بغضة وتنافس

ونحن كصدع العس (1) إن يعط شاعبا (2) … يدعه وفيه عيبه متشاخس (3)

ويعارضه آخر في رعاية حقوق القربى وإكرام صلة النسب : —

وإني لأسمى عنه كل حفيظة … إذا نيل مولاي (4) احتمال الضغائن

وإن كان مولى ليس فيما يهمني … من الأمر بالكافي ولا بالمعاون

وقال غيره : —

تسرى لرهط المرء خير بقية … عليه وإن عالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى … جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

وقال محمد بن عبد الأزدي :

ولا أدفع ابن العم يمشي على شفا … وإن بلغتني من أذاه الجنادع (5)

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه … لترجعه يوما إلى الرواجع

وأحسب أن قصيدة (معن بن أوس) في مداراة القريب لانتزاع الضغينة من صدره بالعتاب والتسامح وسعة الصدر هي أم الباب في هذا الصدد : —

---

1 — العس القدح الكبير. 2 — الشاعب من يصلح الصدع.
3 — متشاخس أي متفاوت. 4 — من معاني المولى ابن العم.
5 — ... الدواهي.

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم

وفيها يفصل أسلوبه الناجح فى رأب الصدع وإصلاح الخلاف وتأليف الأفئدة. وقد أعجب بها عبد الملك بن مروان وكان ذا نزعة أدبية وفضلها على كل ما سمع من شعر امرئ القيس والأعشى والنابغة.

وإذا أخذنا بنظرية (أدلر) فى شدة التنافس بين الأقرب فإن ما كثر من أشعار التنافس بين الأقرباء شىء طبيعى شائع كما أن استعمال الحسنى فى معاملتهم سمو من تغلب العقل على العاطفة لا يرقى إليه إلا القلائل.

ومن سمات الضعف والاستخذاء قبول الدية فلا تقبل الديات إلا عند خوف معاقبة، وقبولها عندهم سمة الضعف والطمع.

قال مرة بن عداء من بنى أسد: —

فلا تأخذوا عقلا من القوم إننى
أرى العار يبقى والمعاقل[2] تذهب

وقال غيره: —

ولكن أرى قوما أصيب أخوهم
رضوا العار فاختاروا على اللبن الدما

وقالت كبيشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها القتيل: —

أرسل عبد الله إذ حان يومه
إلى قومه لا تعقلوا لهم دمى
ولا تأخذوا منهم إفالا[3] وأبكرا
وأترك فى بيت بصعدة[4] مظلم

والمستحسن أن يضيف الموتور إلى رفض أخذ الدية زيادة فى التنكيل والقتل يتجاوز بها حد المساواة.

قال أحدهم: —

فيا تمل ثأر واطلب القوم بالذى أصيبت ولا تقبل قصاصا ولا عقلا

---

١ — من المصادر التى تذكرها أمالى القالى ج٢ صفحة ١٠٠ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦. ٢ — المعاقل: الديات. ٣ — مفردها أفيل ملفوف السنة من الإبل. ٤ — موضع باليمن

ومما يدل على جودة الطبع، والثقة بالنفس وحب الصدق أن يعترف العربى لخصمه بالصفات المشرقة فيطرى شجاعته ويصف البطولة فى حملاته، وأشباه هذا الضرب أسمى عندهم (بالمنصفات) يذكرون شاعرها ويعجبون به فوق ما يعجبون لغيره من الشعراء قال عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى: —

شددنا شدة فقتلت منهم ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورموا جوينا
فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا

وقال زفر بن الحرث: —

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالى لاقينا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جردا للمنية ضمرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

لقد ذكر من خصومه لجواعية أنهم (كانوا على الموت أصبرا) وهذا لسان صدق وانصاف بديع يعتز بها وبأمثالها تاريخ الأدب

وقال الهذيل بن الفرخ العجلى وهو شاعر إسلامى: —

إذا ما علمنا حملة مثلوا لنا
بعرصة تذرى المواعد من بعد
وإن نحن نازلناهم بصوارم
ردوا (١) فى سرابيل الحديد (٢) كما ردى
كلى حزننا أن لا أزال من القنا
يحيح نجيعا من ذراعى ومن زندى

ومن أشنع العيوب عند العرب أن يعيش الفرد للذته وعاره فتشغله اللذة من واجب الإباء والكرامة، وصورة مصعب بن الزبير ماثلة للأذهان إذ يترك من بعده زوجه سكينة بنت الحسين فتاة الحسب والأدب والجمال تندب ثكلها وهو يلومها على جزعها بقوله (ما ترك أبوك لابن حرة من عذر). وقد كانت لمصعب القدرة على النجاة.

---

١ — ردوا: هرولوا. ٢ — سرابيل الحديد: الدروع.

قال شبرمة بن الطفيل من شعراء العصر العباسي الأول :—

لعمري لرمح عند باب ابن محرز
أغن عليه اليارقان (١) مشوف (٢)
أحب إليكم من بيوت عمادها
سيوف وأرماح لهن حفيف

فهو يعرض بهم لسكونهم إلى الملذات وإعراضهم عن لقاء الحروب وأبو نواس — وهو ربيب حياة اللذة — لا يعجبه قول شبرمة بل يقف منه على حافة الطرف الثاني قال :—

رضيت من الدنيا بكأس وشادن
تحير في تصويره فطن الفكر
إذا ما بدت أزراره جيب قميصه
تطالع منه صورة القمر البدر
فأحسن من ركض إلى حومة الوغى
وأحسن عندي من خروج إلى النحر
فلا خير في قوم تدور عليهم
كؤوس المنايا بالمثقفة السمر
تحياتهم في كل يوم وليلة
ظبى المشرفيات المزروة للنحر

وهو بالإضافة إلى ما في حياته من عوامل الاستخذاء عاش في بيئة وفق بنعمة الأمان ، يسهر الحاكم فيها على حماية دماء الناس وأموالهم ، ولم يكلفه مجتمعه واجباً دفاعياً فظن نفسه مستغنياً عن الجهاد ، ولو عاش في بيئة يحتكم ساكنوها إلى القوة والسيف قبل المنطق لتبين خطل رأيه وراح ضحية فلسفته .

وقد زودت حروب الجاهلية وحرب الجمل وصفين وحروب الخوارج تاريخ الأدب العربي بأروع أدب الحرب ، ولكنه نزر في العصر العباسي بالتدريج لتغير نظم المجتمع العربي . ولعل من أبرز شعر الحماسة في هذا العصر بائية أبي تمام في فتح عمورية وسيفيات أبي الطيب في الحماسة والمديح . وفي عصر الدولة الطائفة قصيدة صفي الدين الطائي الحلي (٦٧٧ — ٧٥٠ هـ) وأولها :—

سل الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

أما شعر الحماسة في الأدب الحديث فبحاجة إلى بحث مستقل وقد اكتسب معاني جديدة لتطور أساليب القتال ومعداته .

لقد كانت شوكة العرب وسطوتهم طاقة جبارة وجهها الإسلام إلى خارج الجزيرة واستغلها لنشر الدين كما تشهد بها الأخبار .

وبعد فهذا شواظ من أدب الحماسة عند أجدادنا الأباة أمرره على الأسماع لعله يقدح زناد الحمية في النفوس ويلهب ما ورثت من حب التضحية لتوهب لها الحياة العزيزة ، والدفاع المشروع لترد كل المظالم الدينية والدنيوية .

الحلة « العراق »

أحمد حسن الرحيم
ليسانس الأدب العربي

١ — اليارقان : سواران . ٢ — مشوف : مجلو

الغباء الاجتماعي ...

للأستاذ محمد عثمان محمد

في ركن هادئ بأحد المقاهي العامة جلس اثنان يتجاذبان الحديث، أحدهما محام له ماضيه وشهرته، والثاني طبيب مشهور يعمل كبيراً لجراحي إحدى المؤسسات.

وشاءت الصدفة البحتة أن يمر بهما أثناء جلوسهما صديق قديم للمحامي، يمت له بمعرفة بالطبيب..

وبالرغم من أن هذا الصديق مثقف ثقافة عالية، وحائز على أرقى الدرجات العلمية، إلا أنه لم يراع الكياسة الواجبة واللباقة الأدبية في مقام التحية والترحيب.

فهو مثلاً، لم ينتظر الفرصة لصديقه المحامي حتى يقدمه إلى صديقه الطبيب، بل دفع الكلفة من تلقاء نفسه واندفع مادًّا يده إلى الطبيب الجراح مسلماً هازاً يده في حرارة وحماس شديد كأن له به سابق معرفة، أو كأنه صديق قديم لم يره من زمن بعيد

وبمجرد جلوسه أخذ يسترسل في الحديث، منتقداً الطب والأطباء، قائلاً إنهم فئة جشعة تجردت من الرحمة قلوبها، فقد أعمتها الأماني الجشعة، وبهرتها المادة الزائفة ببريقها الأخاذ، فسرعان ما طمست ضمائرها، ففقدت إنسانيتها التي كانت فيما مضى تمتاز بها أيما امتياز.. تصوروا أن يتسلموا بأي شخص المريض قبل المساومة.. إلى آخر ما جرجه من مثل هذا اللغو المسترسل حتى احمر وجه صديقه المحامي خجلاً.

أمثال هذا الصديق، كثيرون في المجتمعات المختلفة، والأوساط المتباينة في الشرق وفي الغرب.. تجدهم بين الطبقات الثرية الأرستقراطية، وبين الطبقات المتوسطة الديمقراطية، وبين الطبقات الفقيرة العمالية.. تجدهم بين المتعلمين المثقفين، وبين أنصاف المتعلمين، وبين الأميين على السواء..

وهؤلاء الناس، من أمثال هذا الصديق، يمكن اعتبارهم مرضى، مصابون بما يسميه النفسانيون: «الغباء الاجتماعي».

وهم لا يعنون بهذا الغباء ضعف الذاكرة، أو فقدان الذكاء العقلي، أو انطفاء الشعلة الذهنية المتقدة.. كلا، فقد يكون الرجل ألمعياً، وعالماً عبقرياً، وحائزاً أرقى الدرجات الجامعية، ومع ذلك قد يكون مصاباً بهذا «الغباء الاجتماعي».. وقد يكون الرجل أمياً، لا يعرف القراءة والكتابة، ولكنه مع ذلك قد يكون حاد الذكاء، حاضر البديهة، متحدثاً لبقاً، يعرف كيف يترك أثراً طيباً في نفس سامعه أو محدثه أو جليسه.. ولكنهم يعنون «بالغباء الاجتماعي» إنعدام الميزة أو الصفة التي تجعل صاحبها محبوباً في المجتمع أو في البيئة التي يعيش فيها..

فصديقنا مثلا الذي لم يراع الذوق والكياسة وأدب اللباقة، وأخذ يجرح شعور جليسه الطبيب الكبير بدون معرفته طبعاً بكلمات أمر من الجرح، ووقف صديقه المحامي موقف المحرج بدون مبرر، لا يمكن أن يكسب يوماً أصدقاء، ولا يمكن أن يكون محبوباً في مجتمع من المجتمعات... وبالتالي لا يمكن أن ينجح النجاح المأمول المنشود في الحياة، ولا سيما إذا كان ممن يعملون في المحيط التجاري... ذلك لإصابته «بالغباء الاجتماعي»، ولانعدام تلك الهبة الإلهية التي تجعل صاحبها أهلاً بالترحيب والحفاوة به في المجتمعات والحفلات.

ويمكنك، على ذلك، أن تقول مؤكداً إن نجاح الفرد في الحياة يتوقف إلى حد كبير على هذه الهبة الربانية، أو هذه الصفة التي تجعل منه رجلاً محبوباً في البيئات والأوساط التي يختلط بها.

وقد عزا بعض العلماء نجاح أكثر كبار رجال الأعمال والاقتصاد في العالم إلى هذه الموهبة الفريدة.. إلى هذه الصفة التي تجعل الفرد غير مكروه من الأفراد والجماعات، وتجعل له القدرة الفائقة على اجتذاب الغير.

بور سعيد — محمد عثمان محمد

على قبور الشعراء

القبر هو النهاية المحتومة بعد الموت لكل نفس عاشت على وجه الأرض، وتختلف نهاية كل إنسان على حسب عقيدته وعمله، فمنهم من جعل نهايته هداية غيره، ومنهم من حذر من غرور الدنيا، ومنهم من شرح نهايته، ومنهم من طلب المغفرة من الرحيم الرحمن!

وهذه وصايا بعض الشعراء أمل فيها عظة وذكرى لمن كان له قلب يفقه مصيره المحتوم!

١ – أوصى أبو العتاهية الشاعر وهو يجود بنفسه أن يكتب على قبره: –

أذن حي تسمعي ... اسمعي ثم عي وعي
أنا رهن بمضجعي ... فاحذري مثل مصرعي

٢ – ولما احتضر يحيى بن عيسى أوصى أن يكتب على قبره: –

رب ميت قد صار بالعلم حيا ... ومبقى قد مات جهلا وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً ... لا تعدوا الحياة في الجهل شيئا

٣ – ونظم أبو الصلت الأشبيلي أبياتاً أوصى أن تكتب على قبره منها: –

سكنتك يا دار الفناء مصدقا ... بأني إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الأمر أني صائر ... إلى عادل في الحكم ليس يجور
فياليت شعري كيف ألقاه عندها ... وزادي قليل والذنوب كثير

٤ – وأوصى أبو العلاء المعري أن يكتب على قبره: –

هذا جناه أبي علي ... وما جنيت على أحد

٥ – ونظم ابن الزقاق اللخمي أبياتاً وأوصى أن تكتب على قبره منها: –

أإخواننا والموت قد حال بيننا ... وللموت حكم نافذ في الخلائق
فمن مر بي فليمض بي مترحما ... ولا يك منسيا وفاء الأصادق

٦ – وأوصى محمد بن إبراهيم الأندلسي أن يكتب على قبره: –

ثمن نفذ القدر السابق ... بموتي كما حكم الخالق
فقل للذي سره مصرعي ... تأهب فإنك بي لاحق

٧ – وطلب ابن زهر الأندلسي أن يكتب على قبره: –

تأمل بحقك يا واقفاً ... ولاحظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على وجنتي ... كأني لم أمش يوماً عليه

٨ – ونظم ابن مطروح الشاعر ليكتب على قبره: –

أتجزع للموت هذا الجزع ... ورحمة ربك فيها الطمع
ولو بذنوب الورى جئته ... فرحمته كل شيء تسع

٩ – وطلب ابن منير الطرابلسي أن يكتب على قبره: –

من زار قبري فليكن موقنا ... بأن ما ألقاه يلقاه
فيرحم الله امرأ زارني ... وقال لي يرحمك الله

١٠ – وأوصى الزمخشري جار الله صاحب التفسير المشهور باسمه أن يكتب على قبره: –

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأول

١١ – ووجد مكتوبا على قبر لم يعرف صاحبه: –

تناجيك أجداث وهن صموت ... وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

١٢ – وقال ابن السماك: مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب!

يمر أقاربي جنبات قبري ... كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي ... وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيا لله أسرع ما نسوني

١٣ – ووجد على قبر آخر.

وقفت على الأحبة حين صفت ... قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي ... رأت عيناي بينهم مكاني

١٤ – وقرأت أن أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك أوصى أن يكتب على قبره من قصيدته الفريدة «نهج البردة»

إن جل ذنبي عن الغفران لي أمل ... في الله يجعلني في خير معتصم

هذا ما عثرنا عليه لبعض الشعراء رحمهم الله – وسبحان الدائم الباقي

سطانوف

محمد منصور خضر

رسالة الشعر

شاعر يودع الحياة :

اللحن الأخـــير...

« أخي الأستاذ المعداوى :

« اسمح لي أن أقدم شكرى لصدر الثقافة ممثلة في شخصك الكريم على الموقف العربى الذى وقفته إزاء شقيق من وزارة المعارف العراقية . واسمح لي أن أهدى إليك شكر الشباب العراقي كافة على رسالتك الرائعة التي وجهتها الى وزير معارف العراق . ولكنى في الوقت نفسه أود أن أسمع أدباء العربية بأن صرختك وصرخاتهم تتلاقى فى مسامع وزارة المعارف العراقية لأنها تجد فى محط حقوق الشعراء وأسعاً لايحد ... وعلى كل فأنت بأسم مصر زعيمة البلاد العربية قد أديت ما عليك . لذا كان من واجبي أن أزف هذا اللحن الباكى إليك وإلى كل أديب مصرى ، وهو كما ترى آخر ألحان الحياة ... »

الناصرى

جف نبعى وجف روحى الظليل — وتمشى على خطاى الذبول
وغدا قلبى الندى يباباً — ما به واحة ولا سلسبيل
وخيالى الطائر خيرة الهـ — م ماز طار جانحه المكبول
وارتعشت نفسى الجريحة بالوهـ — ـم وللوهم ركن المخذول
فزع صارخ يلف حياتى — وخيالى تلفت وذهول
وفراغ كوحشة القبر أرجيه — فلا فرحة ولا ترتيل
وحدة مرة وغربة روح — رامها للعذاب صبر جميل
فالحنين المنين للشاطئ المجهول — رجى ووادى المستحيل
كلما أشرفت على الشيب روحى — وهدها تأمل لجروح سؤول
فالضباب الكثيف والغابة الحمراء — والوحش والطريق الطويل
والعذاب الممل والعدم الشامل — والخوف والرجاء القتيل
وعواء الذئاب والظمأ القاتل — والشوك والهجير الأكول
وأنا راكض ، ألم آمالى — عمرى عشانق القبول
والمتاهات المحموم يأ كل من مدرى — حطاماً قد مزقته النصول
وجراحى المفتحات الفرانى — تنزى وكالحمام تسيل
كلها هوة يرقنها الموت — وشك ضبابه لا يزول !

...

يا «عنانى» أنا الغريب بأرض — لم يعش غيراً بها القوى الدخيل
كيف أشقى وهذه الدار دارى — كيف قولى . أما لجيل رحيل ؟!
كيف عم الظلام ، وانطمس النور ، وراحت على العقول السدول ؟!
كيف الاسجين إذا ساد قوى — مستبداً بهم ، حتى جهول !

...

يا «عنانى» ضوت فى التيه عمرى — مثلما ضاع فى الرحاب الأصيل
مثلما ضاع بلبل أسلمته — يد الشؤم «يومه» و«طلول»
فطوى جنحه عن الخروج يشدو — لا لأ يساط «بخيفه» أو «عذول»

...

يا ضلالى مع الأعاصير فى الليل ، الهدى ، ومن ضلالى الدليل ؟!
كيف لى والمنى يقود شروداً — ضل عن دربه فضاع السبيل
شاعر بالأسى نفست لياليه — وأيامه منى وعويل
كل يوم أجر بدنى على — أملا بالجموع منى غسيل
أترانى وقد تمضت «الثلاثين» سعيداً ، ... مشكلات . ماذا أقول
يا لهنا الشقاء ، قد نفض الريث ، وما زال فى السراج الفتيل !!

...

رعشة الموت لم تزل فى دماغى — شعة ما لسرها تعليل
أنا من وحيها أعيش بكون — مرعب فوقه الردى مسدول
ما حياتى إلا انتظار رهيب — لجفاها ترى جفاها يطول ؟
فعلى راحتى من جثث الوهم اصفرار وفوق وجهى نحول
وعلى مبسمى اعتراف من السم وفى عينى السهاد الطويل
وردى من خاجرات الليالى — بقع ، ما لوجهن نصول
دمع الشؤم جبهتى فعلى صدغى — من نحس الحقيقة دليل

...

دب فى السقام وانتشر السل بجسمى ، وشاق نعشى الأفول
فأنا فى يد اليأس جريح — حائر عن أسبابه لا يحيل
وأنا فى فم الشقاء حطام — يتلهى به الردى المخبول
كان لى مطمع بأمس وقد مات — فماتت رغائب وميول

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

مع الفقيد الشهيد في العراق :

لا تعتب على أخيك أن تأخر في تقديم خالص شكره وشكر الشباب العراقي المثقف إليك ، على ذلك الموقف النبيل المشرف الذي وقفته من محنته على صفحات الرسالة ، فلست ذلك الإنسان الذي سرعان ما ينسى الجميل ويتنكر لمعاني الوفاء ؛ ولكن ثق أنني كنت في المستشفى أعاني وخز الإبر ومتاعب الداء .. ولقد جاءت الرسالة ، قرأ الناس تعقيبك الأول وكلمتك الثانية ، فأعجبوا بهما شأن كل ما تكتب ، ثم نقلت الصحف العراقية كلمتك الموجهة إلى وزير المعارف معلقة ومنوهة .. وكان الثناء عاطرا عليك وعلى مصر ، حتى لقد دفع بعض أصحاب النفوس المريضة إلى أن يفرغوا ما رسب في نفوسهم من أحقاد !

أما عن موقف وزارة المعارف العراقية فقد بقيت كعهدها الأول .. صماء بكماء ، ويظهر أنها تريد محاربة الأدباء لأنها تخشى انتشار الثقافة في العراق ! ماذا أقول لك ؟ لقد قلت كل شيء في هذه القصيدة التي تقص عليك أحزان النفس وأشجان الحياة .. ألا توافقني بعد هذا كله على أنها يجب أن تكون « اللحن الأخير » ؟ صدقني إنها تسمية صادقة .. لأن الزورق المجهد يوشك أن يرسو على شواطئ الفناء ! !

« بغداد — العراق » عبد القادر رشيد الناصري

الشيء الذي كنت أنتظره ، وينتظره معي الناس ، هو أن يتفضل معالي الأستاذ خليل كنه فيثبت لنا أنه إنسان — كما ننتظر منه هذا الشيء الكبير ، ولكنه أبى إلا أن يثبت لنا أنه وزير ! ومن دلائل هذا الإثبات أن معالي الأستاذ قد أغمض عينيه فلم ينظر ، وأغلق أذنيه فلم يسمع ، وأطبق شفتيه فلم ينطق بكلمة واحدة تنقذ الفن الشهيد وتنصف الحق المهضوم ! !

إن القلم يعثر في يدي وأنا أسجل هذه الحقيقة .. هذه الحقيقة المرة التي تهمس في أذن التاريخ قائلة له : إن وزير المعارف قد آثر أن يكون من أصحاب الدوائر على أن يكون من أصحاب الإنسانية ، وفضل جاه المنصب وهو تقييد على فعل الخير وهو تخليد ، وزهد كل الزهد في أن تخصه الأحلام بشيء مما تخص به الناس من الذكر الجميل !

ألا يوافقني معالي الأستاذ خليل كنه على أن لأصحاب المراتب حقوقا على الدولة يجب أن تذكر فلا تهدر ، وأن تصان فلا تهان ، وأن يضرب بها المثل على سلامة الوعي ونزاهة القصد وعدالة التقدير ؟ لا أشك لحظة في أنه سيوافقني بقلبه وسيؤيدني بلسانه .. والدليل ؟ الدليل هو أن العراق قد ضرب يوما هذا المثل ، حين مد يده إلى مقعد من مقاعد الصحافة لينقل منه رجلا إلى مقاعد الوزراء .. هذا الرجل هو معالي الأستاذ خليل

وعيني مثل أمس من كئيبا لا رجاء فيه ولا تأميل لي
بالمستقبل الرهيب أبرق ناعيا في ركابه عزريل ! !

* * *

أين مني لا عناية « القدر الساحر بل أين « طيفها » المجهول ! ؟
أو لم أذبح الرقاد لأقيا ها ، وقلبي بحبها مشغول ؟
عاصرا مقلتي في قدح السهد ، سلافا والليل زحف طليل
أراها كالآل تفتحه للعين ولكن ما إن إليه وصول ؟
تمت حقبة مرت بها للصخور ، ولحظ « الهناء » عني كليل
أن حرا بالدمع والشجن المواز ، يقضي لياليه جد مثقول
كيف أرجو من السقام نجاة أو يرجو شفاءه المسلول ؟ !

* * *

إيه أشباح جنة الخلد هيا فلقد ضاق بالحياة العليل
أقبلي كالطيوف من عالم النور ، ورفي كالزهر وهو بليل
بالتهاليل طوفي حول نعشي فلقد شاق سمعي التهليل
ثم زفي للقبر عرس شبابي وتغني فذاك عرس جميل
واسرجي لي الشموع واحدي ركبي
فالسرى متعب ، ودربي طويل ! !

* * *

« بغداد » عبد القادر رشيد الناصري

كيف ؟! ما باله إذن وقد ظفر بكل ماله على الدولة من حقوق ، ينسى أن هناك أناساً لهم بعض الحق وهو في يديه ، ثم لا يمنحهم شيئاً من هذا الحق وهو قادر عليه ؟! سؤال حائر ، وسيظل حائراً ما شاء له وزير المعارف أن يحار ... أما الجواب ، فسيوافقني عليه معالى الأستاذ خليل كبه بقلبه إن لم يؤيدني بلسانه — وآه من حيرة الجواب بين القلب واللسان !!

ويقول لى الأستاذ الناصرى إن صحف العراق قد نقلت كلمتى عن « الرسالة » معلقة ومنبهة — أنا شاكر للصحافة العراقية عطفها على الشاعر ونشاطها عن الكاتب ، وأدعو الله من قلبى ألا ينتقل أحد رجالها بعد الآن من مقعد التحرير إلى مقعد الوزير ، حتى تظل جذوة الإنسانية متوهجة منه في شباب القلب متوقدة في شباة القلم ، يصطلى دفء حرارتها كل من أضناه برد الأسى وتجهم الأيام !!

أما أنت يا عبد القادر فدعك من هذا اليأس الذى لا يطيقه الشباب ولا تحتمله الحياة ... إن الشباب ومضة شجاعة بالنوم وصادة بالتضحية ، وإن الحياة زهرة ندية بالصبر فواحة بالأمل . فماذا تريد للومضة الساطعة أن تخمد ، وللزهرة اليانعة أن تذوى ، وللأمل الخالد أن يذهب أدراج الرياح ؟ إن الحياة يا صديقى ليست هى اليوم المشهود ولكنها الغد المرتقب ... الغد الذى قد يزف الربيع إلى حقائب المتصوف ، ويمالئ الأحرار من زوايا السجون ، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجون !

وتسألنى إن كنت أوافقك على تسمية هذه القصيدة التى بين يدى بالنفس الأخير ؟ إنى أوافقك على أنها يجب أن تكون كذلك ، أن تكون آخر لحن يضج بالشكوى ويشرق بالدموع ؛ ولهذا سأسقط من هذه القصيدة الباكية التى لا تتفق مع أحلام الشباب وأمانيه ، على أن تكون قصائدك المقبلة كلها باسمة كالأمل ، مشرقة كالفجر ، خافقة بخفقات القلب المتفتح لنداء الحياة !

إن الابتسامة الصادقة هى السلاح القاطع فى كل معركة وكل صراع ، وإن ما ينقصنا نحن الشرقيين هو أن نتعلم كيف نبتسم ... نبتسم للخصم كما نبتسم للصديق ، نبتسم للمرض كما نبتسم للعافية ، نبتسم للنصر كما نبتسم للهزيمة ، وعلى مدار قدرتنا على تلوين الابتسامة هنا وتلوينها هناك ، نستطيع أن نلمح الغاية ونرسم الطريق ونحدد المصير !

ولا تحسب بعد هذا كله أنك الشخص وحيداً بلا نصراء ... إن بين يدى كثيراً من الرسائل من مختلف أقطار العروبة ، يؤازرك أصحابها بكل ما يملكون من عواطف الأخوة ومشاعر الولاء . وأنصفنى أن هذه الرسائل لا تخلو منها واحدة تعرف صاحبها كيف يخاطب القلوب المتفقة فى العراق !

مع القصرى عبد السودان :

قرأت تلك الصرخة التى أرسلها الشاعر العراقى المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى على صفحات « الرسالة » وقرأت ما كتبته أنت نقلت السؤال إلى وزير معارف العراق ، راجياً منه أن يتدارك صرخة الفن الشهيد بعطفه ورعايته .. قال وزير المعارف العراقى أرفع هذه القصة :

جاء بمجلة كردفان التى تصدر بعاصمتها « الأبيض » الخبر الآتى تحت عنوان : « معطف ماسكى » ... (وصل إلى علم جلالة الملك فاروق بأن رجلاً يدعوه بأنه فرنسا ، أن الطالب السودانى أحمد مدثر وقد ذهب إلى فرنسا لتلقى العلم ، قد أرهقته سوء حالته المالية على أن يسأل « حالا » فى وقت قراءته ، ومع ذلك فقد نال دبلوم العلوم السياسية .. ولولا سوء حالته المالية لسافر إلى سويسرا للحصول على الدكتوراه ! وقد تعطف صاحب الجلالة الملك فاروق بعد هذه فنحه خمسين ألف فرنك ، مع إعادته إلى سويسرا على نفقته الخاصة)

قرأت هذا على ما أسلفت ، وأحببت أن أقرن بين الحالين .. ولكن القلم القاصر والبيان العاجز لا يتيحان لى أن أصب مشاعر النفس فيما يلائمها من كلمات . . . وما دمت قد وهبت قلمك للدفاع عن قضايا الأدب وحقوق الأدباء ، فليس لى إلا أن أهدى هذه القصة الخالدة إلى وزير المعارف العراقى ليسمع ، وإلى كاتب التعقيبات المصرى ليعقب

« أم روابه — سودان » محمد الحسن شاخ الدين

هذه المأثرة النادرة التى يقص علينا نبأها الأديب السودانى

الفاشل ، أشارت إليها الصحف المصرية وكانت حديث الناس في كل مكان ، وأشادت بها الصحف الفرنسية وكانت محل التقدير البالغ على كل لسان – وليست هي بالأثرة الأولى لجلالة الملك فاروق ، فما أكثر المآثر والمفاخر التي تحلى بها حياة هذا الإنسان العظيم ! وقد يقول بعض الذين لا يدركون حقيقة القلب الإنساني كما خلقه الله : إن الملك فاروق قد مد يد العون إلى هذا الطالب لأنه واحد من رعاياه .. إن القلوب الكبيرة في شعورها المرهف لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين أمة وأمة ، ولا بين دين ودين ، ذلك لأنها طبعت على حب الخير ، وفطرت على صنع المعروف ، وجبلت على إسداء الجميل ! وأستطيع أن أقسم لن يقفز إلى أخلادهم مثل هذا الخاطر العجيب .. أن عبد القادر الناصري « العراقي » لو قدر له أن يكون في باريس إبان وجود صاحب الجلالة « المصرية » ، لما كنت شاكيه اليأس من صفحات الرسالة !!

إنني أذكر لحضرات الفضلاء رسائلهم كريم عواطفهم ، وأقتصر على هذه الرسالة لأنها خير أمثلة يمكن أن تقدم لوزير المعارف العراقي في مثل هذا المجال .. وأكتفي بهذا التعقيب لأنني قلت اليوم وبالأمس كل ما يمكن أن يقال !

كلمات في نقد الشعر :

يشجعني على مواصلة الكتابة إليكم ومعاودة الكلام في شعر العطار وأباظة ، أني وجدتكم تتلمسون في الشعر الذي تحبونه وتؤثرونه ، تلك الإلتماعات الخواطف للبصر ، الملوالب للتفكير ، التي تلقيها عليه خفية أعطيت القدرة على التحليق الهادي والانطلاق الحر ، في عوالم انقطعت دونها أخيلة الكثرة من الأدعياء ، عوالم زخرت بطرائف الرؤى وخوارق الصور .

بل يشوقني إلى هذا الكلام أني أجدكم تتحرون في هذا الشعر ، بل في الأثر الأدبي دون تحديد ، حلاوة ذلك الشعور الكامن خلف الحياة ، الدفء الذي تطالعه فيه روح متصلة السر بسر الحياة الأكبر . فهي تستمد عناصر قوتها وعناصر وجودها من تلك الصلة الخالدة التي تشرف بها على أذكى أعماق الطبيعة الإنسانية ، وتفضي بها إلى أسمى الحقائق في محيط هذا الكون الحافل الزاخر اللامحدود . وأنكم كذلك ترهفون السمع في العمل الأدبي إلى صدى ذلك الرنين ، بل إلى الرنين نفسه ، الذي أودعته فيه ملكة فذة من تلك الملكات التي تصعد إلى كل معنى يخطر ولكل فكرة توسل نشيداً خالداً لا يجوز عليه الفناء ، لأنه مما توقع عليه تجارب الحياة في مجال الشعور الصادق ، ومما توحي نتائج تلك التجارب في آفاق الذهن المتفوق ؟

كل ذلك يحملني على الكلام ويغريني به ، لأنه يملأني أشعر بالطمأنينة إلى أنكم تنظرون إلى الحقائق الأدبية الثابتة ، من نفس الزاوية التي أحاول أن أنظر منها إليها ، وأنكم تضعون للأعمال الأدبية الميزان الذي لست أو من يفيدها أميل ، وها أنذا الآن أقرأ لكم هذا التعقيب البارع على كلمتي السابقة ، أو هذا المقال النصل ، على إيجازه ، في شاعرية العطار ، مرتكزاً فيه الحكم على اتجاهه العام ، فأجدني راضياً كل الرضا عما أقرأ مقتنعاً كل الاقتناع بأن ما رأيتموه في شعر الشاعر يتفق في جملته وهذا الذي أراه .

هو في جملته شعر يعوزه عنصر الحياة الذي يذكي خواطر القارئ ، ويلهب وجدانه ، ويهز أوتار قلبه وكيانه .. وإن كان لا يخلو من اللفتات الشعرية المحلقة في بعض الأحيان ! وهو شعر تنقصه أصالة الرؤية الشعرية ، وطبيعة الحركة النفسية ليرقم أن قائله من أهل الشعراء جرساً كما تقولون .. أو هو يبارق الخامدة . شعر يفتقر إلى تلك الإشراقة التي تبعث من الآفاق الفنية النائية التي يتداعى إليها الخيال المبدع ، وذلك الحس الحبيب الذي يمسك على الأثر الشعري حياته وأنفاسه ويصون نضرته ورواءه ، وهو يفتقر أخيراً إلى تلك الموسيقى النفسية التي تحدثتم عنها في نقد الشعر

على أني أحتي يا سيدي الأستاذ ألا تكون قد انتقلتم عند الحكم على وضع الشاعرين ، أباظة والعطار ، في طبقة واحدة . فشعر أباظة على الأكثر شعر موفور : تحوطه هالة من الألوان التي تهبها الذهن ذلك الحلم الخالص حيث تسيح الأماني وترقص الأخيلة ، وتترقرق في أعماقه موجة الحياة حارة صادقة ، الحياة التي تدعوه من نفسك ، بل تلصقه إلى نفسك ، ويطغى كل ذلك على مشاعرك ويمتد سحره إلى قلبك ، حيث جذور الحياة الإنسانية ، ليهزها من أصولها هزاً ، ويثمرها ثمراً ! وأباظة فنان يقدم لنا في إطار

من أجل الشعر ، وأطراه مشاهد فنية هي في الأغلب الأعم ملء النظر وملء الحس وملء التفكير ، لأنه إذ يقول هذا الشعر إنما يستجيب لحركة نفسه ويترجم عن خوالج وجدانه ، ويقبس وحيه من أغوار قلبه .

وأخيراً أنا أعاود الكلام يا سيدي لأؤكد لكم مخلصاً أنه لا هوى يقود رأيي حامل هذا القلم إلا هوى الفن الذي يوحي في آثار الفنانين لمحات الأصالة الذهنية ، ودلالات الصدق الشعوري وبعد .. فأختم هذه الكلمة محييا فيكم شخص الأديب والناقد ، شاكراً للظروف هذه الفرصة الكريمة التي أتاحت لي لقاءكم في هذا الجو الحبيب الذي تتراوح فيه أنسام الشعر الجميل وأنسام الوداد الخالص ... وإلى لقاء قريب إن شاء الله ، في محراب فنكم الخالدة « من الأعماق » ... والسلام عليكم من المخلص ،

دمشق — سورية » محمد الأرناؤوط

أتعرف ملكة « المزاج الفني » ؟ .. إذا استطعت أن تتخيل القصيدة الشعرية بأدائها النفسي جسماً من الأجسام ، وإذا استطعت أن تفترض كل ملكة من الملكات الشعرية عضواً عاملاً في حركة هذا الجسم ، وإذا استطعت أن تتمثل الحيز الذي يشغله هذا الجسم من الوجدان المتذوق مكوناً من تلك المجموعة من الأعضاء ؛ إذا استطعت أن تتخيل وأن تفترض وأن تتمثل هذا كله ، فإن ملكة « المزاج الفني » هي الثوب الذي يلتف حول هذا الجسم بمجموعة أعضائه ليبرز تقاطيعه للعيون ويكشف من مفاتنه ! إنه أشبه بالثوب الذي ترتديه أي حسناء . قد يكون جسمها نموذجاً تاماً لجمال كل عضو من أعضائه على حدة ، وقد يكون جسمها نموذجاً عاماً لاتساق تلك الأعضاء مجتمعة ، ولكن الثوب هو الحكم الأخير الفاصل بين أجساد الحسان ، لأنه هو وحده الذي يطلعنا على مدى التفاوت الجمالي بين جسد وجسد ! هناك ثوب يوحي إليك أن صانعه غير « فنان » ، لأنه لم يراع النسب الفنية بينه وبين جسم صاحبته : من ناحية الطول والقصر ، ومن ناحية الضيق والسعة ، ومن ناحية الكماليات التي تتمم مظاهر الزينة وتوائم بين لون الثوب ولون البشرة . مثل هذا الثوب لا شك أنه يظلم الجسد الجميل لأنه يقدمه للعيون على غير حقيقته ؛ على تلك الحقيقة الأخرى التي اصطنعها ذوق صانع غير فنان . ماذا ينقص هذا الصانع من « ملكات الفن » ليصنع « ملكات الجمال » ؟ تنقصه ملكة « المزاج الفني » ، ملكة تفصيل « الأثواب الكاشفة » عن مفاتن الأجساد !

المزاج الفني إذن هو المسئول ، بل هو واضع الحدود والفروق بين طابع كاتب وكاتب وبين طابع شاعر وشاعر .. خذ مثلاً طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم — ككتاب في مجال القصة وحدها لا في مجال آخر — فستجد أن طه في « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » يمثل الطابع الأدبي فهو قصاص أديب ، وستجد أن العقاد في « سارة » يمثل الطابع الفكري فهو قصاص مفكر . وستجد أن توفيق في عدد من قصصه يمثل الطابع الفني فهو قصاص فنان ... وخذ العقاد مرة أخرى وعزيز أباظة وعلى طه — كشعراء — فستجد أن الأول يمثل المزاج الفكري فهو شاعر مفكر ، وأن الثاني يمثل المزاج الأدبي فهو شاعر أديب ، وأن الثالث يمثل المزاج الفني فهو شاعر فنان .. هذا التقسيم واضح كل الوضوح في الأدب المصري الحديث كما هو واضح كل الوضوح في الأدب الفرنسي الحديث : أندريه جيد وفرانسوا مورياك كلاهما نموذج لهذا القصاص الأديب ، وجان بول سارتر وبول كلاودل كلاهما نموذج لهذا القصاص المفكر ، وجان كوكتو وجان أنوي كلاهما نموذج لهذا القصاص الفنان !

إن الشعر دفقة وانتفاضة .. دفقة يتلقاها الشعراء جميعاً ، ولكن فيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن وحده ، وفيهم من من يتلقاها بانتفاضة الحس وحده ، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن والحس والشعور في وقت واحد . ونفرق نحن بين هذه الألوان من الانتفاضات في محاولة فنية تهدف من ورائها إلى استشفاف « الحقيقة الشعرية » من خلال أثوابها الكاشفة ، وننتهي إلى أن حقيقة الشاعر الأول صاحب الانتفاضة الأولى هي « وجهة نظر » فكرية ، وهذا هو العقاد . وإلى أن حقيقة الشاعر الثاني صاحب الانتفاضة الثانية هي « وجهة نظر » أدبية ، وهذا هو عزيز أباظة . وإلى أن حقيقة الشاعر الثالث صاحب الانتفاضة الثالثة هي « وجهة نظر » فنية ، وهذا هو علي طه — وهكذا تجد مزاج الشاعر المفكر ، ومزاج الشاعر الأديب ، ومزاج الشاعر الفنان !!

هذا هو رأيي الأخير الذي أقدمه للأديب السوري الفاضل

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ردوا على الأزهر كرامته :

كادت كلية اللغة العربية في هذه الأيام الأخيرة أن تتسم بطابع وزارة المعارف ومن علامات هذه الظاهرة عقد مسابقات لقبول الطلبة الراغبين في الانتساب إليها تحت إشراف الوزارة ، وتعديل مناهج التعليم على النحو الذي أدرته في كلية دار العلوم .

ورسالة الأزهر ، كما نعلم جميعاً ، هي المحافظة على كيان العلوم الإسلامية ، والعمل على نشرها في جميع بقاع العالم على لسان أبنائه الأزهريين ، أو بأقلامهم السيالة المؤمنة ، ولا يخفى ما للغة العربية من أثر في تأدية هذه الرسالة على وجهها ، إذ هي الأداة الوحيدة في فهم لغة السماء المقدسة ، وفي هدى النصوص الحائرة في ضباب الأوهام والجهالة ، وتصحيح مستنداتها الإلهية .

وعقد الأزهر لكلية اللغة العربية لبنى الأفذاذ دعامة متينة من بنيانه مما يخل بتأدية هذه الرسالة المقدسة ، واندراجها تحت إشراف وزارة المعارف في الوقت الذي ينادي فيه بعض ذوي الرأي من رجالات التعليم بوجوب انفصال الجامعة المصرية عن الوزارة ، واعتبارها هيئة قائمة بذاتها ، إذ أن في وضعها الحالي غضاً كبيراً من كرامتها كدار يدرس فيها لأرقى أنواع الطبقات المثقفة في مصر .

وإذا كان الطلاب الأزهريون يصمتون عن هذه الأوضاع الراهنة بغض الطرف عما يترتب عليها من نتائج غير مرضية لأنهم إنما ينظرون بعين السعادة ، فما الداعي لرضاء أولي الأمر فيه والقائمين عليه . . !! الأمر الذي يوشك أن يحرم الأزهر من حرمته وقدسيته ؟

أنا لا أفهم الأزهري الناهض يسلخ هكذا من أزهريته ويتمرد على أزهره ، وإنما أفهمه يفرح بمجده وشرفه ، وينادي بتدعيم بناء مكانته العلمية والأدبية ، ويطالب في إباء وشمم أولياء الأمر من أساتذة الأزهريين بتعديل أساليب الدراسة ، ومناهج التدريس كما يتفق وروح العصر ، ومسايرة العالم في تطوراته وأحداثه ، ويحارب أكبر ما يحارب بتدريس اللغات الأجنبية دراسة وافية عميقة . !! ومتى اكتملت للأزهر الشريف هذه الثورات استطاع بجدارة أن يشغل مكانة ممتازة بين الهيئات العلمية المحترمة . وأن يؤدي رسالته المقدسة بكل إتقان في كل مكان . !!

إن عقد مسابقات لقبول بكلية اللغة العربية معناه حرمان كثير من ذوي الميول العلمية ، والاستعدادات الفطرية ، من تمكينهم من تنمية ملكاتهم وتنمية مواهبهم !! ووضعه تحت إشراف رجال الوزارة معناه تأمين رجال التعليم الوزاريين المصريح في كيان الأزهري ومقدرته العلمية ، وحرمانات أزهره ، واعتراف رجال الأزهر بذلك ، معناه فقد الأزهر جزءاً حيا من أجزائه وهدم ركن شديد من بنيانه . . !!

إن الأزهر ليستصرخ باسم الدين الثوريين من رجاله أن يردوا عليه كرامته ؟ وأن ينقذوه من هذا الجمود المقيت ، ويسايروا به مواكب الحياة العلمية المتوثبة ، وتقدم العصر المطرد وعندئذ يستطيع الأزهر أن يحمل بجدارة مشاعل العلم والنور والحرية . . . !!

كلية اللغة العربية — نيازي علي مرزوق

وردت إلى هذه الكلمة بعنوانها الثابت على رأسها ، وهي كلمة حق ، والموضوع الذي تعرض له موضوع خطير ، لأنه يتعلق بكيان الأزهر الذي يجب أن يبقى مستقلا بمقوماته وخصائصه ، ذلك الكيان الذي نراه مهدداً بالتيارات التي تحدث عنها الأديب الفاضل نيازي على مرزوق .

والواقع الصريح أن أصل الموضوع هو عدم ثقة وزارة المعارف بحسن إعداد الطلبة في كلية اللغة العربية ، لأنها ترى أسس التعليم في الأزهر غير متمشية مع طرائقها التربوية ، وهي في الوقت نفسه تحتاج إلى خريجين لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي بالمدارس

شغبها على كلمته عن الشاعر مزيزابطة ، ولا أريد أن أعرض هذا الرأي عليه ولا على غيره من الأدباء . . إن للأستاذ الأرناؤوط مطلق الحرية في أن يحتفظ بآرائه الخاصة حول غير الشعر كما يهديه إليها ذوقه الخاص وموازينه الذاتية ، وله مني خالص الود وصادق التقدير .

أنور المعداوي

وهؤلاء الخريجون أنفسهم يطالبون بذلك . فالوزارات تريد أن تطمئن إليهم في تأدية هذا العمل على الوجه المرضي ، فهي تعمل على المشاركة في إعدادهم وامتحانهم .

فهل ذلك الاتجاه من صالح الأزهر باعتباره جامعة لها كيانها وكرامتها ومقوماتها الأصيلة ؟ لا شك أن خريجي الأزهر وطلبته الذين يريدون الخروج من النطاق الأزهري وغزو البيئات الأخرى ، هم الذين يدفعون بالأزهر إلى ذلك الوضع ، لأنهم يبغون الخير ، وهم يريدون توسيع نطاقهم ، والأزهر يقف معهم عند حدوده ، فهم يدفعون بالأزهر إلى ما يريدون ، ورؤساء الأزهر يسيرون مع تيارهم ، لأنه تيار جارف لا يستطيعون الوقوف في سبيله .

والواقع الصريح كذلك أن كثيراً من طلبة الأزهر نشأوا فيه بغير إرادتهم ، وكثير منهم يضيقون به عند ما تلوح لهم مظاهر الحياة المصرية التي يعزلهم عنها الأزهر ، فيلتمسون أي سبيل للخروج منه ، كما يلتمسون أية صفة أخرى تشفي على أزهريتهم ، وذلك مثل بعض المتخرجين الذين لحقوا بعهود

كشكول الأسبوع

◘ افتتحت يوم الأربعاء الماضي بدار الأوبرا الملكية ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التي نظمتها هيئة الأمم المتحدة لبحث المشاكل الاجتماعية التي تهم هذه البلاد . وموضوع هذه الدورة دراسة المسائل التي تتصل بالريف في بلاد العرب . وقد تفضل جلالة الملك فأوفد مندوباً عن جلالته في هذا الاجتماع . ويشترك في المؤتمر وفود من العراق ولبنان والمملكة السعودية وسوريا وشرق الأردن واليمن ، وفيها مندوبون مستمعون من تركيا والباكستان والولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا .

◘ تقرر تحديد أسبوع يبدأ من ٢٧ ديسمبر إلى ٣ يناير القادمين ، للاحتفال بمرور ٦٠ عاماً على إنشاء الجمعية الجغرافية الملكية ، وافتتاح معهد فؤاد الأول للصحراء ، ويتضمن برنامج هذا الاحتفال جلسات علمية ، وزيارات لبعض الأماكن التاريخية والعلمية ، ورحلات علمية وحفلات شاي وغداء وعشاء ، وسيكون المدعوون من كبار العلماء وزعماء الفكر الأجانب ضيوفاً على الحكومة المصرية في أثناء الاحتفال ، ويقدر عددهم بنحو ١٢٠ من مختلف أنحاء العالم .

◘ كتب (باحث) في العدد ٦٢٠ من « الثقافة » في قصة كتاب « سيرة القاهرة » وجاء في مقاله ما يلي : « كمطلع في الماء جذوة نار ، كما يقول المعري » والواقع أن هذا الشطر بيت لأبي الحسن التهامي لا المعري ، والبيت هكذا :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار

◘ صدر أخيراً « سلطان العلماء » للأستاذ كامل عبد عجلان ، وهي مسرحية تدور حوادثها حول « عز الدين بن عبد السلام » في آخر عهد الأيوبيين وأول المماليك ، وتصور قوة العلماء ومقاومتهم الباطل والطغيان . وهي مسرحية أزهرية لأن مؤلفها وضعها لتمثلها فرقة التمثيل في الأزهر ، ولذلك اضطر فيها إلى حركب « خفي » إذ جعلها خالية من العنصر النسوي ، لأن رؤساء الأزهر لا يوافقون على أن تظهر امرأة على المسرح الأزهري ، والفرقة طلبة الملل كلها « مشايخ » !

◘ قرأت في إحدى الصحف أن أهل شمال إفريقية يشكون من ضعف موجات الإذاعة المصرية وعدم تمكنهم من سماعها . ألا ليتنا في شمال إفريقية !

الوظيفة وتدرجوا فيه ، ثم يحرصون على أن يكتبوا تحت أسمائهم الصفة الجديدة فقط .

ولا بأس بالاستطراد إلى أمر آخر يجري إليه هؤلاء الضائقون بأزهريتهم ، وهو ما يقول به بعض المصلحين من الأزهريين وغيرهم ، من قصر التعليم على الكتاتيب واستمداد الطلبة من التعليم العام ، فإني أرى أن الطالب الذي يتجه إلى الأزهر ، أعني الكتاتيب ، يتجه إليه برغبة ، ويعتاده من عقيدة ، فيكون الأزهري المقتنع بأزهريته ، بل المعتز بها .

ونعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى موضوعنا الأصلي ، فنحرر المسألة على الوضع التالي : لا بد لخريجي الأزهر أن ينالوا ما يناسبهم من وظائف الدولة ، وخاصة أن هذه الوظائف تحتاج إليهم ، ولكن ليس معنى ذلك أن يفقد الأزهر شخصيته ، وتمحو بوزارة صبغته ، وأعتقد أن ما حدث كان لا بد منه ، فلم يكن هناك من سبيل غيره لإقناع وزارة المعارف ، ولكني أعتقد كذلك أنها كانت مرحلة انتقال ، يجب الآن إنهاؤها . والدور الآن على رؤساء الأزهر ، فواجبهم أن يردوا عليه كرامته ، على حسب تعبير

السيد نيازى ، فيعملوا على إصلاحه وتقويته بحيث يقتنع الجميع بأنه قوى بذاته وأن أحسن أهل لما يناسبهم من الأعمال دون مشاركة أحد فى إعدادهم .

وحين يبلغ الأزهر ذلك البلغ الذى نرجوه له ، لا نرى خريجى الأزهر يطالبون — مثلا — بالإلحاق بمعهد التربية لأن تخصص التدريس فى الأزهر ليس أقل شأناً من معهد التربية ، ولا نرى — مثلا أيضاً — كلية اللغة العربية تطالب كلية دار العلوم بأن ترد عليها الطارئين منها ، بتوحيد امتحان القبول فى الكليتين واقتسام الناجحين ، لأن كلية اللغة العربية لن تكون أقل إغراء من دار العلوم .

تأبين عجيب :

احتفلت نقابة الصحفيين يوم الخميس الماضى ، بتأبين الكاتب الصحفى المرحوم الأستاذ عبد الحميد حمدى ، وقد أبنه جماعة من الزملاء الصحفيين هم الأساتذة حافظ محمود ومحمد مصطفى حمام وحسن صبحى وعبد الرحمن البيسوى وعبد العزيز البكرى والسيدة منيرة ثابت . أما الأستاذ حافظ محمود فكانت كلمته مناسبة ووفت بحق الفقيد من حيث جهوده الصحفية ومودته لزملائه ، وإن كان قد أساء إلى الخليل وسيبويه وغيرهما من علماء النحو واللغة ، بالإفاضة فى الأخطاء . وأما الأستاذ حمام فقد جرى على عادته فى كتابة أبيات الرثاء على مائدة السجائر قبل إلقائها بدقائق معدودات ومن الأبيات التى قالها فى الفقيد :

مضى لم تدلله الحياة فلا تقل لكل مجد فى الحياة نصيبه

راحلا لهذا لم يجد فى إعداد قصيدة للرثاء

وكان حمام موفقاً صادقاً فى قوله :

وأعذبها من مستطاب بيانه وما أمنحه بالذى يستطيبه

فهذا ينطبق على الكثير من أصحاب الأقلام فى هذا البلد ، يشبعون الناس أدبا وبيانا ولا يجدون لقاء ذلك مكافأة وتقديرا ، وقد يتركون من بعدهم من يحتاج إلى الاكتتاب لهم ، كما حدث فى هذا الاحتفال ، إذ أعلنت ذلك السيدة منيرة ثابت عطفا على أرملة الفقيد !!

وما أكثر العجب بعد ذلك ، فقد اتهم الأستاذ البيسوى الفقيد بأنه كان داعية للإنجليز ! وقال إنه أفضى إليه مرة بأنه من ذلك .. وقد كان الأستاذ عبد الحميد حمدى رئيس الترجمة بالسفارة البريطانية

وقد أصلح الأستاذ حسن صبحى ما قاله البيسوى ، إذ وجه علاقة عبد الحميد حمدى بالإنجليز ، بأن خدماته للسفارة كانت فى وقت تتعاون فيه مصر مع بريطانيا وكان الجو بينهما مشبعا بروح الصداقة .

وأما الأستاذ البكرى فقد هنأ الفقيد بوفاته .. وحمل على الحياة وغنى للأحياء أطيب التمنيات بمفارقتها !

وأما السيدة منيرة ثابت فقد أشادت بجهود الفقيد فى مناصرة النهضة النسوية والدفاع عن حقوق المرأة ، وصرحت بأن ذلك كان أيام الصبا والجمال ! وحدث تواضع منها ، فهى لا تزال ! !

وحضر الحفلة طائفة من السيدات متزعمات الحركة النسوية ، وقد لوحظ أنهن انصرفن قبل قراءة القرآن الكريم فى الختام ، إذ قال القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، حتى نهضن منصرفات . والمستعلمين يحق الاستغراب ، هل كن يقمن لو اختتمت الحفلة بشكوكو . ؟

من أدب المجالس :

فى مكتبة الكيلانى بنادى — يوم السبت من كل أسبوع — جماعة أكثرهم من المشتغلين بالشؤون السياسية ، وهم مع ذلك لا يتحدثون فى السياسة .. كأنهم جاءوا إلى هذه الندوة ليريحوا عقولهم من ذلك العناء ، فلا تسمع إلا طرفة من هنا وملحة من هناك ، تبين فى تذكيرهم خواطر الأدباء ، وفى حديثهم طلاوة الأدب ، وإن لم تدركهم الحرفة ... يتوسطهم المحدث اللبق الأستاذ كامل كيلانى ، يدير عليهم كؤوس السلاف من حديثه الممتع ، إلى جانب أكواب القرفة والتمر هندى ...

وفى الجلسة الماضية حلا للقوم موضوع الجرس الواقف الممل فى أدب العرب ، واشترك فى الحديث الأساتذة على الجزايرلى باشا وجمال الدين أباظة بك وأحمد سامى باشا والحاج أمين الحسينى وحقى الحكيم بك وسامى الحكيم بك وعوض حسيب

رسالة الفن

مسرحية ابن جلا

نقد وتحليل

للأستاذ حبيب الزحلاوى

خطوة جريئة يخطوها الأديب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور في بناء الرواية التمثيلية ، والخطوة عندي على ما فيها من جرأة تدل على روح فنان موهوب ونفس ثائرة لا يرضيها المشي في طريق مسلوك ، بل هي تواقة إلى تسيد طريق جديد يجد السائر فيه كل ما يبهج ويفرح

أسميت عمل الصديق تيمور خطوة جريئة ولم أسمها متمردة ، لأن عاطفة مثله يتردد في الاستجابة على سلوك المحافظين وفن « الإتيكيت » لا يتحرف منها في حياته الخاصة إلا حبها يجبره إخوانه الأدباء على الالتفاف حول طبق التريد ، وإن خروجه في رواية ابن جلا ، على التاريخ يشده ويقلبه ويكيفه تكييفا خاصا وفق مزاج الفنان ، بضرب بالقيود التاريخية ، ويهمل الوقائع والأسانيد والصفات والعلاقات الرسمية والمخطوطات وما إليها من عدة نقاد المؤرخين وكتب كتب التاريخ ، إن خروجا كهذا لا يمكن أن نسميه بالخطوة الجريئة ، ولا ننعته بالتمرد ، بل يحسن أن نسميه فتحا جديداً في الفن الروائي العربي

تصدى الأستاذ تيمور في العام الماضي لشخصية أدبية خالدة في تاريخ الأدب هي شخصية بارزة في الإسلام تتحلى بأوفر خصائص الرجل العظيم وصفاته ، هي شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي ، وإن التعرض لشخصية خالدة وإخراجها على مسرح التمثيل لا يخلو قط من ضرورة خلف الجو اللائم لروح العصر

بك والأستاذ الكيلاني . روى راويهم قول ابن الرومي :

من بنات الروم لا يكذبنا ... لونها المشرق عن منصبها
فهي حسب العين من نزهتها ... وهي حسب الأذن من مطربها
وإذا قامت إلى مائدها ... كمهاة الرمل في ربربها
سالت أردافهـا أعطافها ... حل وأت أوطأ من مركبها

— إن الألفاظ تتأرجح وتختال كأنها تكون صورة متحركة لتلك « البنت » الرومية

— استمع إلى الموسيقى الناشئة في قول ابن الرومي أيضاً :

ويح العراق مالها سقمت ... حتى كأني كنت سقمتها
ألم تكن ميلا مقومهـا ... ألم تكن هوجا مثقفهـا

إلى أن يقول :

هرمت في سنى وفي ميثق ... فرأى من دنيا تضيفها
فلي على الدنيا وهل لمة ... تدفع منها إن تلوثها

— وكذلك في قول الله تعالى : « أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن » أين من هذا التقاطيع القوية أن يقال : من ينصركم من دون الرحمن ؟

— مما يتصل بحسن التنسيق بين الأجزاء قول الشاعر :

مرت بنا في ترملق أخضر ... يمشى منها بعضها بعضا
ولم أر أبدع في التناسق من أن يمشى كل عضو عضوا

روى جمال الدين أباظة بك عن الدكتور طه حسين بك أنه فسر « الترملق » بـ (الشمزت)

— ليت شعري ماذا كان يقول الشاعر لو رأى من عندنا من لابسات (الشمزت) الحديث ؟

— لم يكن يقول شيئا .. فقد ألفنا كثرتهن حتى أصبح منظرهن شيئا عاديا لايحفز على التنزل بهن !

عباس خضر

والبيئة التي عاش فيها صاحب الشخصية، والاتصال به من مكان وزمان وملابسات، وروايات إلى صحة سلامتها أو بلى ما يناقضها من ظروف وصدف ومفاجآت، بل لابد من السير في حدود حددها التاريخ ضمن نطاق محاط بسور من القدسية هي أسمى من الحصن،

ولكن الأستاذ تيمور بروايته التي افتتحت بها «فرقة المسرح المصري» حياتها قد ابتعد عن كل ماله صلة بالتسلسل التاريخي وتناول «شخصية» البطل الذي خلق التاريخ وأطل عليها من ناحيات عدة ثم أرانا إياها مرة واضحة أو سافرة أو محجبة بحجاب كثيف، ومرة يحوطها بضباب ستر أو شفاف، وبكلمة أوضح جعل أعمال البطل تدل عليه، وتصرفاته تنم على شخصيته

هو ذا الفتح الجديد في فن الرواية التمثيلية الذي حدث، وهو فتح يساير روح العصر في الدرس والتحليل والاستقراء والاستنتاج، وفي الغوص على النفس يفتش المكنون في أعماقها يحل العقد فيها، ويبسط بواعث الانفعالات، ويلاحظ ويدقق في ملاحظة أسباب انفعالاتها ونتائج الانفعالات

على هذا النحو من التأثر بروح العصر، وعلى هذا الضرب من مسايرة علم النفس أراد الأستاذ تيمور أن يقيم شخصية الحجاج أمام الجمهور، ولكن هل استطاع التوفيق بين ما أراده وبين ما أرانا إياه؟ هل صورة الحجاج التي رسمها لنا تنقل الحقيقة من حياة الرجل أم هي خيالات نفخ فيها من روحه هو ولم يقو على أن يبعث فيها روحاً منها؟ هل تصرفات الحجاج في حياته جاءت مطابقة لما هو وارد في كتب التاريخ وسير أعلام الإسلام، أو أن للمؤلف رأياً بدافع من دوافع أصول الفن المسرحي أن يجعل خطوط حياة الحجاج مرة بارزة واضحة ومرة أخرى مستترة وراء ستار شفاف أسدلناه لاهتمام النظارة وجذباً لأنظارهم؟

عرف الحجاج بالبلاغة الخطابية، والإرادة الصارمة، والشدة القاتلة، والحزم، والحرص على النظام، فأي صفة من هذه الصفات لم يعطها المؤلف حقها من الإيضاح وأي منها لم تنله كاملا؟ وهل الصورة التي علقت في ذهن الشاهد العادي هي صورة صادقة للحجاج، أو هي قريبة من الصدق، أو هي مشوهة؟

يحسن أن ألفت النظر إلى أن الأستاذ محمود بك تيمور هو من أعضاء المجمع اللغوي، وإن عالماً مثله صار في عداد الخالدين لابد أن تكون اللغة طيعة له لينة. أضف إلى ذلك أن من أبرز صفاته الأدبية كتابة القصة، وأن لا محيد للقاص من الاندماج مع نفسه فيكون فضولياً ومسالماً، قاسياً ولينا، عبوساً وباشاً عند الحاجة، ولابد له من القدرة على تقمص روح المتكلم فيكون كلامه كالملوك أو كالسوقة، كالعلماء أو كالجهلاء، كالمزارعين وعامة الدهماء، يهبط أو يرتفع مع كل طبقة من الناس حسب تفكيرها وتعابيرها ومصطلحاتها، بشكل تنعكس المرآة بصور أحاسيسها وشعورها ومدى خيالها وأطماعها، وقد قرأنا في بعض مؤلفات الأستاذ تيمور ما يؤكد قدرته على ذلك، فهل استطاع في هذه المرة أن يسمو بحديثه إلى بلاغة الحجاج وفصاحته أو أنه التزم لغة المسرح في السهولة والبساطة؟

يخيل إلي أن الأستاذ قد تأثر كثيراً بما قرأ من خطب الحجاج وسيرته وأحاديثه، وأن بعض تأثره قد تبخر يوم سوّد أفكاره بالقلم، وأن صديقه وصديقنا الأستاذ زكي طليمات قد أخذ بتلابيبه رده من الحجاج وبالغ عليه في حرب التزام مستوى الجماهير، فالحجاج الذي شاهدناه يتكلم على المسرح، لم يكن بليغاً بل كان فصيحاً، طلق اللسان، واضح البيان، حاضر البديهة، سريع الخاطر، قوي الحجة، صادق الحس. لا يعلو كثيراً في التفكير، وفي التعبير، وفي المصطلحات اللفظية، وفي تركيب الجمل، وفي التشبيه والاستعارة والاقتباس عن مستوى الطبقة المثقلة لا الطبقة المثقفة

لقد استطاع الأستاذ تيمور أن يرينا صوراً حية لحرص الحجاج على النظام، وعلى «عبقرية» الشدة الصارمة المنطوية عليها، وعلى مخادعته رغبة الشدة الأصيلة فيه بافتعال المتناقضات إذ كان يطعم الجائع لا عن جود وكرم بل عن دعاية نفسية في تازم الأكل أن يأكل عدداً من الصحاف إن قصر في ازدرادها

ما يفعله سيف الجلاد . ومن أروع صور شدة الحجاج وحرصه على الأمة طرده للغوي الذي غلط فلحن فكان جزاؤه السجن لا يخرج منه حتى يستوي من حفظه القرآن . أما قوة الإرادة وعدم الانصياع للأمر والنفور من كل ما يمس الأمر فقد كانت تتشبث به وتأخذه إلى حد أنه كان ينفض ثيابه ويديه منها كأنها علقت بها ، وكان لا يطيع أمر الطبيب ويعصاه ويأبى تناول الدواء لأنه فرض مفروض . وقد أجاد الأستاذ تيمور في إبراز هذه الصور واضحة نقية

بقيت مسألة أقف منها موقف المتعجب بها والمستغرب بصحتها وهي هل كان الحجاج متهماً شهوانياً ، وهل حكاية تعلقه بالفتاة « الأهوازية » وكلفه بها ، ولجاجته في الشكوى منها ، وافتقادها إذا هجرته وعادته ، والسؤال عنها لم تكن قريبة دافعاً منه ، وكان يرتاح لخصامها ؟

ليس يستنكر أن تكون « رأس الحكمة إشباع المعدة » عند رجل عبقري كالحجاج ، وليس يستبعد أن يكون شرهاً في مفارحة المرأة ، ولا يستغرب أن يكلف بامرأة مفطورة على الأخذ محبة للعظمة والكبرياء ، مولعة في الفخار ، مشغوفة بالاستعلاء بشخصيتها لتتصدر في إظهار أنوثتها وهي مغرورة . إن حماسة الأخذ وحدها كافية لأن تجعل الحجاج الجبار ، العنيد ، القاسي ، القاتل الذي لا يرحم ، يكلف بهذه القطة الأهوازية يلاطفها فتخمشه وتدميه ، ويمسح شعرها فتعضه وتؤذيه ، فكيف بها امرأة جميلة ، وصبية بضة لا يقوى سواها من دون خلق الله أن يقف منه يجابهه ويعانده ويعنفه ثم يرتمي بين يديه يغسل جفونه بدموع الحب والارتماء في أحضان الحب

لا شك أن الحجاج كان نهماً جشعاً يساير طبيعة الإنسان في تحقيق غايته الأولى من وجوده وهي « الشبع » ولا ريب أنه يرغب في المرأة رغبة من كان قلبه لا يطيق القيود ، وبذلك أيضاً يساير الطبيعة الإنسانية ولا يعطل غايتها الإنسانية من وجودها ، فعزوف الحجاج عن المرأة مرده إلى اشتغاله في توطيد الملك ومقاتلة خصومه بدلالة على ذلك رده « عفراء » ربيبة خادمه في كثير من الخشونة وعدم المبالاة . أما سموه إلى التقيد بالزواج إنما هو سنن الوضيع الذي يطالب الرفعة والجاه من طريق مصاهرة الهاشميين .

أما حكاية الفتاة « الأهوازية » التي لفقها المرحوم جرجي زيدان واقتبسها الأستاذ تيمور إنما هي حكاية لم أجد ما يؤيدها مما قرأت مما كتب عن الحجاج ، وأرى أن الحق في جانب زيدان الروائي لا المؤرخ في تلفيق ما يجذب القارئ ويشوقه إلى قراءة فصول الرواية ، وكذلك أجد أن من الواجب أن أشكر الأستاذ تيمور على اقتباسه تلك الحكاية واحتضانها وتجسيمها بجعلها المحور المركز على قاعدتين ، الحجاج من جانب ، والأهوازية من جانب آخر

لا ينسى خيال هذه الخطوة البارعة في جعل « شخصية » البطل هي التي أسلطت عليها أنوار التحليل النفسي ، وبذلك يشترك الشاهد مع المؤلف في تمييز ما يمكن وما لا يمكن من أمور النفس الإنسانية ، وأن يلزم المؤلف الشاهد على ما يستطيع حمله من كنوز الرواية لتكون زاداً لعقله وتفكيره .

* * *

هل رأيت ديكاً فتياً يمد عنقه ، ويمد جناحيه ، ينقل كفاً بعجب ، ويدع الأخرى تليه ، ثم يقف فيطلق صيحة مدوية تتفتح لها أفئدة الدجاجات وجوانحها ؟

كان هذا الديك التياه هو صديقنا الأستاذ زكي طليمات ، في الحجاج بن يوسف الثقفي على مسرح الأوبرا ، ولكنه لم يكن ديكاً صياحاً بين دجاجات تبيض ، بل كان يتيه بين أتراب صغار زغبهم ذهبي ناعم ، وزقزقتهم خافقة رنانة .

إني لأتمنى أن أراهم تياهين صوالين يجذب حيالهم في ميدان المسرح الجديد أضخمها وأشدها .

* * *

كنت في صحبة الكريم حضرة صاحب العزة الأستاذ

أحمد رمزي بك العالم المؤرخ والمدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي وقد شاهدنا تمثيل روايتي « شجرة الدر » لعزيز باشا أباظة و « ابن جلا » للأستاذ محمود بك تيمور فانتهيت بشيء من الإخراج ويوم ملابس الممثلين وقد قال ما نصه

« الإخراج فن لا يزال بدائياً في مصر، وهو فن من أصعب الفنون وخصوصاً إذا تعرض لإخراج الروايات التاريخية. وإني لا أجد عذراً في روايتي « شجرة الدر » و « ابن جلا » موفقين فيها، لأن الذي يتعرض لمثل هذه الأمور يجب أن يكون لديه ثقافة وافرة، واطلاع عميق على النصوص التاريخية، وعلى علم الآثار الإسلامية، والمخطوط ويفهم الملابس والإشارات والأسلحة والأثاث والعمار الذي يسود كل عصر

وأجد أن كل عصر إسلامي يمتاز عن الآخر بميزة خاصة تميزه عن كل هذه النواحي، وأن كل مئة سنة تحتاج إلى رجل مختص يساعد المخرجين على تفهم الأمور التي أشرت إليها وكيف كانت في ذلك العصر

والملابس التي أخرجت بها شجرة الدر لا تمت بصلة إلى عصر المماليك، والملابس التي أخرجت بها رواية الحجاج لا تمت بصلة إلى العصر الذي عاش فيه الحجاج. والأدلة على ذلك كثيرة، مثال ذلك، الأعلام التي جاءت في رواية الحجاج كتبت بالخط النسخ وهو لم يكن موجوداً في ذلك العصر، وكتبت بالخط الكوفي في رواية شجرة الدر بينما كان العكس هو الواجب أن يتبع

ومن أغرب ما شاهدت أن يرى في وسط معسكر الحجاج علم عليه الشاليش التركي، وهي عادة جاءت في أواسط آسيا بعد قيام الدولة السلجوقية، فالأتراك هم أول من استعمل أذناب الخيل على الأعلام والسناجق وسموه « الشاليش » وأخذت به جميع الدول التركية سواء كانوا من الأيوبيين والأتابكة أو سلاطين الأتراك في الدولتين البحرية والبرجية بمصر

ولا شك في أن إخراج الجند الشامي بملابس عسكرية من ملابس القرن العشرين أمر مضحك. كذلك رئيس الشرطة أو قائد الجند الذي كان يلبس ألبسة تشبه ملابس القواد في الجيش الإيراني أيام مظفر شاه، أما ألبسة الحجاج فكانت مجموعة من أغرب ما رأيت

سكين الحجاج جمع بين عصور المغول والفرس والهنود والانكشارية فكان إخراجاً يدعو إلى الدهشة والعجب، فقد لبس ألبسة العصور جميعاً غير عصره. وأغرب من ذلك أن تطل له الشعور تحت العمامة وهي عادة لم يعرفها عصره. وإنما جاءت بعد ذلك. وأعظم من هذا أن يلبس قلنسوة فارسية عليها عمامة ويظهر آنا تحت طاقية حمراء لم تعرف إلا أيام تيمورلنك

أما بقية العمائم فلا تمت بصلة إلى ذلك العصر بتاتاً، بل هي عمائم عرفت في العصور المتأخرة، عصور العثمانيين. ولو شئنا التحدث عن الأسلحة والأعلام وشارات الملك والجند وما كان يلبسه الناس في أقدامهم لتبين القارئ أن المخرج بعيد عن فن الإخراج ولا يعرف شيئاً عن عصر الحجاج ولا عن عصر شجرة الدر. والظاهر أنه يفهم هذه العصور على طريقة عامة بدليل أنه وضع في خيمة الحجاج درعين وسيفين معلقين على قاعدة حمراء على هيئة أرابيسك، وهذه أيضاً لم تعرف بعصر الحجاج ولم يأت لها ذكر إلا بعد ذلك بقرون

أما السيوف والأسلحة فليست من ذلك العهد بتاتاً

ويوجد في متحف استانبول مجموعة من السيوف القديمة التي استولى عليها العثمانيون من خزائن السلاح المصرية في قلاع مصر وقلاع الشام يقول بعض أهل التحقيق إن فيها ما يمكن عده من أسلحة الأمويين، فيحسن بالمخرجين أن يرجعوا لأهل الاختصاص في الملابس والدروع والأسلحة والعمائم وكل ما يتعلق بأي عصر من العصور معتمدين على النصوص التاريخية، وعلى الملابس، وعلم الأسلحة، وفن العمار وكل ما يتعلق بالمخطوط وقراءتها. وعلم الآثار حتى لا تخرج دار الأوبرا الملكية منظراً في القرن الأول الهجري يمثل معماراً أندلسياً أو صورة من مبان

البريد الأدبي

حكاية حمار العمدة:

أتى إلى البريد كتاباً طواه صاحبه على دعوة لتكريم « مدير الصاحة » المرقى إلى « وظيفة » أعلى . وكان من البديهي أن أجامل صديقي صاحب الدعوة ، حيث لا علاقة بيني وبين هذا المدير ، ولو بالسماع !

ولما شخص مكان الحفل ، إذا بكراسي مصفوفة ، وموائد مرصوصة ، فوقها زهر حي ، وطعام شهي ، وشراب روي . حتى إذا أكل القوم مريئاً . وشربوا هنيئاً ، وقف خطباؤهم يتبارون في المنظوم والمنثور ، فأجادوا وأفادوا ، وقد حشدوا على « المدير المنقول » نعوتاً من إقدام عمرو وسماحة حاتم وحلم أحنف وذكاء إياس !

وكان يجلس إلى جانبي رجل عرف بالصراحة والركانة ، فالتفت إليه متي دهشة ، وقلت له : إن بعض هذه الأوصاف أسبغت على نابليون ، وبعضها يصدق على بسمارك ، وهي في جملتها أصح لو وصف بها عمر بن الخطاب ؟

فبدهني بقوله : لا عليك ، فهذا قول محفوظ وورد منظوم ، يلقى عند وداع كل رئيس وعند استقبال كل رئيس ، لا يتغير فيه سوى الأسماء !

ثم سألت صاحبي التركي المضيف : ترى لو كان هذا

تحمل الطابع الفاطمي وهو طراز من البناء جاء بعد المصباح بأكثر من قرنين »

وللأستاذ العالم رمزي بك ملاحظات أخرى على الإلقاء والترتيل ، ومخارج الحروف ، وفك النطق وغير ذلك من الملاحظات ليته يتفضل بإتحاف قراء الرسالة بشيء منها خدمة للغة العربية الفصحى التي نعرف مقدار حرصه على سلامتها

حبيب الزحلاوي

« والدر » ، أميل إلى الدش - مثلاً - ولم يرق إلى منصب أعلى ، أكان يقام له مثل هذا الحفل الرائق ، ويقال فيه مثل هذا الكلام المنمق ؟ فتطلع إلى القوم : ومالك من الإحراج ؟ أو لم تسمع حكاية « حمار العمدة » ؟ قلت : هات : هات : هات الحكاية.

قال التركي المضيف : عندنا في الريف حكاية تهكمية مؤداها أنه حين ينفق حمار العمدة ، يتبادر أهل القرية جميعاً لتعزيته في حماره النشيط الذي طرب بحسن أخلاقه الثقل ، فلم يرفس ، ولم يركل ، ولم يعض !

... فإذا قضى الله ومات العمدة ذاته ، لم يذهب أحد لتعزية أهله ، وإنما يتزاحمون على باب العمدة المرتقب !

قلت آمنت بالله !

منصور جاب الله

خطأ تاريخي في مقال :

قرأت في العدد ٩٠٤ من مجلة الرسالة الزاهرة مقالاً للأستاذ علي الحساري بعنوان (دم الحسين) والشيء الذي يوجب الاستغراب ويبعث الدهشة في النفس هو قوله (الفارس الذي منع الماء مات عطشان بالرغم من أنه كان يسقى الماء حتى يبشم ثم يعود فيشرب حتى يبشم وما زال كذلك حتى لفظ أنفاسه والشقي بحر بن كعب وقد سلب الحسين لباسه - كانت يداه في الشتاء تنضحان الماء) إلى غير ذلك من الخزعبلات والأباطيل التي تأباها العقول وتلفظها الألباب ويدحضها الواقع وتكذبها الرواية

فقد مات إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم فبكاه رسول الله حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم حمل إبراهيم ليدفن في البقيع ولم يكد الصحابة يغادرون البقيع حتى انكسفت الشمس فظن بعضهم أن الكون قد شاركهم في المصيبة وأن انكساف الشمس إعلان الحزن على إبراهيم . ولما بلغ قولهم النبي صلى الله عليه وسلم أنكره . قائلاً (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) فتأتيت بهذا المثل لأبسط للأستاذ

البخاري أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو كان حيا بعد قتل الحسين ولو آمنا بما سطره لنا التاريخ من روايات وما اصطنعته أيدي المؤرخين في زمن الدولة العباسية بسبب بغضهم لبني أمية أقول لو آمنا بما قيل في هذه الرواية لكان قول الرسول بأن ليس هناك من يموت عطشان بأرض من أنه يحتفي الناس من أجل قتل الحسين كما أن الشمس لم تنكسف من أجل وفاة إبراهيم

لقد كانت هذه الرواية موضع استهجان نخبة ممتازة من الشباب المثقف في مجالسهم الخاصة وقد لاموا الرسالة المجلة الراقية على حد تعبيرهم لنشرها مثل هذه الأسطورة.

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

(١) لعله أصيب بمرض الهيضة.

تصويب لغوى:

اتساق قلم الأستاذ الكبير أحمد الصاوي محمد إلى خطأين لا يحسن السكوت عليهما: —

— فأولا — ورد في « ساعل وول » عبارة « يقدم رجلا ويؤخر رجلا » مما يوهم أن المثل العربي « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » معناه « أراك تقدم رجلا وتؤخر رجلا أخرى ».

والصحيح أن كلمة « أخرى » نعت لكلمة « تارة » المحذوفة؛ أي أن أصل المثل هو « أراك تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى ».

— وثانيا — جاء في « إبر النحل » عبارة « معالي الوزير المنصف دكتور طه حسين بك ». ولا أدري لماذا آثر الأستاذ التنكير على التعريف في كلمة « دكتور » إلا أن يكون قد انساق انسياقا وراء لغة العامة والعصمة لله وحده

عبد الحميد عمر

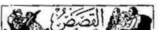
نظرة في مقال:

اعتاد الأستاذ كامل محمود حبيب أن يتحفنا بين الفينة والفينة بمقالاته الرائعة وصوره الممتعة على صفحات الرسالة الزاهرة وكان آخر ما قرأنا له مقالا بعنوان (هوى على الشاطئ) المنشور في (العدد ٩٠٢) من مجلة الرسالة الغراء ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي قوله (.. الدين الذي يبذر في القلب الرهبة ويغرس في النفس الخشوع ويبعث في الروح الخوف ويذيق المقة بالاستسلام) ويظهر أن الأستاذ كامل يفهم الدين على غير حقيقته. إن الدين قوة روحية لها من الكمال الأسمى قدسية تفيض بالجمال الإلهي فيملأ النفس حبا يسمو على الرغبة والرهبة، حتى كأن النفس طبيعية المرآة تنعكس فيه ظلال المعاني السامية فتفيض على الروح روحا حتى لا تحيا في جسمها ولا تفنى معه. تطل على الحياة معنى تتقدم منه حلاوة الجنة حتى لا ترى في الحياة شهوة مثيرة، أو رغبة آخذة أو أملا قاتلا أو مصيبة مهلكة، وإنما ترى فيها سبيلا مجدا تسلك إليه من حلق الحياة ومن ورائها الجنة فلا تأخذك الحياة بيأسها أو غرورها كما لا تأخذ من الحياة إلا ما فيه مصلحة الحياة ولا تهمل منها ما فيه مصلحتها لأن الله لم يخلق شيئا عبثا.

فالدين بجوهره، خلق وتربية غير أنه لا يحتاج إلى ما تحتاجه الأخلاق من قوة مسيطرة وإنما هو القوة المسيطرة على الأخلاق توجهها لأقوم وجهة، فهي نابعة من الذات تراقبها، ولها من الذات قوتها لاعتقادها بأن الله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)

إن الدين حق الفرد على الجماعة فلا تعتدي عليه، ولا تنقصه حقه ولا تقيده في حريته، وإنما تنتصف له حتى يكون من ضعفه في أقوى قوة.

إن في الاعتقاد بالله وآخرة ما يعدل الحاجات ويقمع الشهوات ويلجم النزوات وفي هذا ما يثير النظر إلى لذات الحياة فتكون الأخلاق غير الأخلاق، ونكون مع هذه الأرض غير الأرض



السعادة

عن الكاتب البلغاري تيودر يانوف

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

لقد كان شاعراً أعمى فقيراً فإذا كان ينقصه؟ السعادة

وكان شوقه إليها يتبعه كظله دائماً إلى كل مكان، فإذا ما استيقظ، شعر كأنما قلبه الخافق رهن قبضته. وكانت غارته القمعة (بالأماني) تجوز آفاقاً غريبة عجيبة

ترى ما الذي كان مشوقاً إليه؟

لقد كان مشوقاً إلى شيء ما... بل إلى كل شيء!

...

كان العندليب يساهب رحماً من الزهر ويشدو عليه أرق الألحان التي كانت رعشاتها اللطيفة كنغم الصباح تتهادى لتتلاشى في الآفاق النرامية

وكان كل ما حوله هادئاً؛ وكل شيء كانت أنفاسه. واستدت السماوات والنجوم والقمر إلى شدوه، منجية دافقة، وقد أرهفت السمع حتى أنهى مايراً من نشوة الحب والهيام

وفي الفترات التي كان ينقطع فيها العندليب عن التغريد، كانت تجتاح السكون شهقة ذهول وغزل

وإذ ذاك هكذا كانت الأرض تلفظ أنفاسها الرقيقة. وكانت هذه «النفحة» تحمل إلى الأشجار والأعشاب والنجوم والقمر، وحتى عمائم الثلج على ذرى الجبال البعيدة

كل شيء ... بالسحر الجامح بالأحلام، وفي تلك الشهقات يكمن حنين الهوى المشتعل وواصل العندليب غناءه ... وكانت

كأنها بين ربوة عالية وهاوية سحيقة، ولهذا قال فولتير الأديب الفرنسي الشهير بالحاد، إن الإله شرط يصون الجتمع حتى ليجب أن نوجده إن لم يكن موجوداً؟

إن الدين روح الأخلاق وأساس الفضيلة والمجتمع الذي لايقوم على أساس من دين يهوي إلى الدرك الأسفل من الرذائل.

«بغداد»

ع . ع

تعقيب على تعقيب:

قرأت في مجلة الرسالة الغراء رقم ٩٠٤ الكلمة المعنونة «بتعقيب على مقال» للأديب عبد الخالق عبد الرحمن، يخطئ فيها الأديب الكبير «أحمد بك رمزي» في استعماله كلمة «خصيصة» قائلا: «هي مما يؤخذ بالدماغ ولم ينقل عن العرب خصيص بمعنى خصوص، وأقول إن هذه الكلمة وردت في منظومهم ومنثورهم، وهي صيغة مبالغة لاسم الفاعل وليست لاسم المفعول.

فقد ورد في الجزء الثامن من لسان العرب ص ٢٩٠ الطبعة الأولى في مادة «خص» ما نصه:

«خصه بالشيء يخصه: خصاً وخصوصاً وخصوصية والفتح أفصح وخصيصى. والاسم: الخصوصية والخصوصية والخصية والخاصية والخصيص وهي تمد وتقصر عن كراع، ولا نظير لها إلا المكيثي» انتهى ما ورد باللسان. والألف في هذه الكلمة علامة المؤنث لأن هذه الكلمة مقصورة وزان فعيل وكتب الصرف تؤيد هذا.

حسين سعود دياب

أشعة القمر الفاهلة تداعب العنادل وشجيرات الورد بلطف ورقة، وكانت النجوم تستمع إلى أغنية الهوى، وبابتسامة حنون تشجع الطائر الشاعر قائلة: — « أنشد وغن أيها الحبيب! »

وإذ كان العندليب غارقاً في رعشاته الصوتية الشذية، كان مبتهجاً أيضاً بعواطفه الغرامية الهائمة. وإذ سار قلبه يدنو من برعم الوردة أكثر فأكثر، أخذ يتوسل قائلا: « تفتحي أيتها الوردة! ... دعيني أستنشق عبيرك البكر مرة واحدة! دعيني أدفن رأسي بين وريقاتك القرمزية! ... »

هكذا واصل العندليب توسلاته، مرسلا ألحانه الشجية حتى الربع الأخير من الليل. وعندما أخذت رعشاته الرنانة تخفت شيئاً فشيئاً، ومع ذلك فقد كان يتعالى في صوته نهد الشوق الظامئ. ولكن سكن الشادي في النهاية، وتنهد برفق وعمق مصعداً « آهته » الأخيرة

وفي تلك التنهدة التي ظل مكبوتاً بين شجيرات الورد ناحت (الأمنية) الفانية الظامئة

...

وقف الشاب هنالك يستمع إلى أغنية العندليب، وطال وقوفه بعد انتهائها وقضى ليلته مؤرقاً ساهداً

لقد كانت دودة (الأمنية) الساخرة تحترق روحه حتى استطاعت أخيراً أن تقبض على قلبه بحزم وشدة ...

وكان الشاب يستلقي كل نهار على العشب الأخضر تحت ظلال أشجار القامة الهرمة، يحدق في السماء الصافية

وكان النسيم يتهادى ما بين الأغصان فيلامس الأوراق برفق ويقبل وريقات الأعشاب بابتسامة هادئة حنون

وأما الأشجار العظيمة والأغصان القوية فقد بقيت هادئة دون حراك، لأنها كانت مستغرقة في سبات عميق؛ وفي أحلامها الأبدية كانت تسكن الأسرار العظيمة، ولذا كان النسيم الخفيف الروح يمر بها بهدوء مداعباً أوراقها فقط لكي لا يعكر عليها صفو الهدوء السني

ولم كانت تهجع في نوم عميق شبيه بنوم الأموات؟

أليس ممكناً أن يعثر الشاب على أمنيته في نومها المسحور؟

أرهف سمعه إلى هدير الجدول المنحدر من قمم الجبال المكسوة بالثلج الدائم! ولقد عظم هديره وأخذ يصارع الصخور فيحمل معه قطعاً كبيرة منها، ويخدش بها صدر الجبل.

فأين كان الجدول يسرح في جريانه؟

لم يكن يدري ...

لقد كان ينحدر هائجاً مزمجراً منذ الأزل، لا يعرف له وجهة ولا قصداً! فلربما انصب وتلاشى في البحر أو في سيل جارف، أو في الرمال المتناثرة. وهذا ما لم يكن الجدول يعلمه

وأما هديره وهزيمه — أليس تعبيراً عن غضب راهن على (المجهول)؟! ...

ولكنها (الأمنية) ...!

لم يكن الشاب يستطيع أن يحمل عبئها الجهد، فلقد كان ثقيلا عليه؛ وهكذا عبر العالم باحثاً عن (سعادته)

أشرقت الشمس ثم غربت مرات كثيرة، وتعاقبت الليالي والأشهر، وتصرم العام تلو العام، وما زال الشاب يضرب على وجه الأرض! لقد مر بقرى كثيرة، وفي إحداها وجد الفلاحين ذات مرة مستلقين إلى نوم عميق أغرقوا فيه هموم المعنى، وكان الظلام الكثيف يلف الأكواخ الحقيرة، والصمت أشبه ما يكون بصمت القبور ...

« أين أنت أيتها (السعادة)؟! » هكذا صرخ الشاب، ولكنه لم يظفر بجواب

واقترب من باب أحد الأكواخ وخفق قلبه مضطرباً قلقاً

وجد فجأة صوت وراء الباب أنيناً خافتاً وتنهداً عميقاً يائساً

إذاً فلابد أن تكون (السعادة) في هذه الساعة المتأخرة تنتحب وسط ظلام الكوخ الموحش

ومشى الشاب في طريقه حزيناً متثاقلا، وقطع الأنجاد والبحيرات والوديان حتى ارتقى جبلا شاهقاً، وإذا هنالك راع يرعى قطيعه، وكان العشب القصير المكشوف يتألق بما عليه من دموع الفجر. وبدأت الريح اللطيفة تبث بحفيف الخراف التي بدأت ترتعش من برودة الصباح، وأسرعت تلتمس الدفء، تحت أشعة الشمس المشرقة. أما الراعي، فقد كان شابا فتيا يحمل

كبيا على ظهره ، وقد جلس على صخرة ، وأخذ يعزف على نايه ، وهو يحدق في الأفق الأزرق بتخيل حالم ، وكانت أنغامه المتخفضة العذبة تسيل من نايه ، ناعمة كأشعة الشمس الأولى ، حالمة كمهى السنواء ، متسمة كذلك الضباب الأبيض المحلق فوق الجبال ! وأخذت أنغامه ترحف بهدوء كالضباب فوق الصخور والأحراج والأعشاب ، وأنصت القطيع إلى أنغام الراعي

— « أخبرني ، أخبرني ، بالله عليك ، لمن تغني ؟ »

— « لمن أغني ؟ هل تغني الريح لأحد ؟ إنني أغني لأنني لا أستطيع أن أمكث بدون غناء . . . إنني أعزف لأنها جهودة ! »

— « هل تعرف السعادة أيها الراعي ؟ »

— « السعادة ؟ إنني لم أعثر عليها قط في هذه الجبال ؛ فأنا وحيد هونا مع خراف بين قليل من الثلج والضباب . وأؤكد لك أن ليست السعادة من حوريات الغاب — لأنني أعرفهن جميعاً ولكن يزعم الناس أنها هناك ، بعيداً بعيداً — ألا ترى هناك مدينة جميلة ؟ أو ليس ممكناً أن تعيش (السعادة) فيها ؟ — لست أدري — إذ لم يسبق لي أن كنت هناك ! . . . »

وهبط الشاب الجبل بعد أن تملكته رغبة أشد من قبل ، ويمم وجهه نحو المدينة العجيبة . حقاً لقد كانت المدينة عجيبة — لأنه لم يكن قد شاهد نظيرها : — عمارات فخمة ، وشوارع واسعة ، ومراكز تجارية . وملاه ومقاصف وقصور — يغمرها جميعاً نور ساطع باهر وكان الثراء والبهاء والرخاء يتألق في جميع أرجائها

وشرع الشاب يقطع شارعاً ويدخل آخر ، وما لبث أن رأى أمام جدار محيط بقصر ، متسولا صغيراً يرتجف من شدة البرد ، ويطلب الإحسان بصوت كئيب

وتابع الشاب طريقه —

ثم وقف ليلقي نظرة من النافذة على أحد الملاهي ، وإذا جمهور الناس يصفقون إعجاباً بفتاة شابة كانوا يطلبونها كأنما هي إلههم فانحنت أمامهم بلطف عذب ، وبدت كأنما (السعادة) تتوهج في ابتسامتها ؛ ولكنها دخلت بعد ذلك غرفة اللبس ، وغرقت منتحبة في أحد المقاعد ، ثم شبكت يديها بيأس وانفجرت تبكي بحزن

وغادر الشاب المدينة العظيمة ، ولم يعد يلقي ولو نظرة واحدة إلى الوراء ، فلقد جرت في نفسه التنهدات الأليمة التي كان يصعدها المتسول الصغير والبكاء اليائس الذي أطلقته الإلهة المعبودة .

وظل يخبط في الأرض مدة طويلة ، وأخيراً وقف في مكان بين جبلين حيث كان يسكن في أحد الكهوف العميقة ناسك طاعن في السن ، بعيداً عن الناس وقريباً من الله ...

وعندما وقف في حضرة الحكيم الناسك سأله بلطف :

« هل تعرف يا سيدي الجليل مقر السعادة ؟ »

وكان الناسك آنئذ مستغرقاً في قراءة كتبه ، يستوعب منها حكمة الدهور . ومضت فترة طويلة قبل أن أجاب على سؤال الشاب . وعندما رفع رأسه الأشيب ، نظر إلى الشاب نظرة باهتة وبدت على وجهه الحذر ابتسامة صارمة

ترى هل كان يفكر في شبابه المضمحل ؟

« أسعادة قلت ؟ » تساءل الحكيم بلهجة تشوبها الشك ، ثم استغرق في التفكير . . وعندما عاد ورفع رأسه ، أخذ يتكلم بقسوة ، فقال : — « عبث ذلك ، إذ ليس هنالك من (سعادة) ! .. إن هي إلا حلم من الأحلام ! »

فأخذ الشاب يتنهد ثم قال : — « إذاً فما تبقى من (الحياة) ؟ ولم احتمل كل هذه الآلام ؟ وما الفائدة من كل أسفاري ؟ »

فرق قلب الشيخ وأخذ يشعر مع الشاب الحالم ، وقال : — « لا تبك ، فاهجروا السبيل الذي تقصد ! إذهب ، فما زالت فتيا بعد ! ولكن أحداً لم يعثر عليها حتى الآن ؛ فإذا ما حدث ، فلا من شك في أنك ستجلب (السعادة) إلى هذه الأرض ! »

فسار الشاب في طريقه ، وكأنما فارقه التعب بعد سفرته الطويلة ، لأن الناسك وضع في روحه الأمل الذي صار ينمو كل يوم وتنمو معه (أمنيته) . وأخذ يضرب في المسالك الوعرة ، وبين الجبال والتلال .. وكانت قمم الصخور تتألق على ضوء

أشعة الشمس الباهتة المنحدرة إلى المغيب . وحول هذه الرشفات كان (الموت) يحوم ويسمم الهواء بأنفاسه . ولم يكن هناك أي شيء يشي (بالحياة) أو (الشباب)

كان كل شيء ساكنا هادئا كأنما يتقد بالسوء ، أو كأنما حلت عليه لعنة القضاء فهاق النهد . وظهرت فجأة في طريق الشاب هوة سحيقة . فوقف واجما على بعد بضع خطوات منها ، وقد استحوذت عليه الدهشة والخوف . . وأخذ يتصاعد من أعماقها ضباب كثيف ، وأخذ هدير الجداول تحت الأرض يدوي صداه المتصاعد من الأعماق السحيقة ، فيملأ الجو هولا ورعبا . . وقد كان في الإمكان الاستماع تحت ستار الظلام ، إلى صياح المناسر الرهيب ، ومع ذلك ، فإن الخوف لم يتطرق إلى قلب الشاب .

وعلى حافة الهوة المقابلة ، كانت إحدى الحوريات تستند بذراعها إلى صخرة مغطاة بالطحلب . . . وكان شعرها الفضي يتلألأ مع أنوار الغروب ، فيستبين له احرار قان .

أما الشاب ، فقد أخذ يسرح نظره مع مجرى الدم تحت بشرتها الشفافة ، وكان ينبعث من عينيها وميض مشاعر غامض ، ومن صدرها تنهدات متموجة متسقة . ووقف الشاب في مكانه لا يبدي حراكا ! ومع ذلك فقد مد إليها يده ! وفي تلك اللحظة فقط أدرك سر غناء العنادل ، وعلم أين يسرع الجدول المنحدر من على الجبل ، ولم احتفظت الأشجار القديمة بسر صمتها ، ولمن كان الراعي يعزف الأنغام

وجثا أمام الحورية متوسلا ، دون أن يحول نظراته عنها ! أجل منها ! من (السعادة) الأرضية !

ولكن (الموت) كان مختبئا وراء تلك الحورية ، وقد كشر عن أنيابه الكالحة بجهامة مخيفة ، وبسط فوق الهوة منجله الحاد . وقد كان يبدو لأشعة الشمس المحتضرة لسان مخيف على حد المنجل ، وقد رأى انعكاسه فباهت على غيمة كثيفة خارجة من الهوة المتثائبة

وظلت الحورية واقفة هناك ، وقد أشارت إليه بيديها ، وسحرته نظراتها ، وأسكرته تنهدات صدرها المضطرب

وكان (الموت) يضحك وهو قابض على المنجل الذي ازداد توهجه عما كان عليه من قبل

* * *

« أيها الأحمق ! أين تندفع ؟ »

وألقى ذلك الشاب نظرة واحدة على الهوة ليقيسها ثم قفز . . . لقد قفز بعد أن طال بحثه عن (السعادة) ، السعادة التي أوقدته في الشباب ، السعادة التي أسرته بجمالها !

أجل ، لقد قفز ! ولكن لا ليعانق الحورية بل ليقع في منجل (الموت) !

ومنذ ذلك الحين صار الناس يدعونها (هوة السعادة)

ماهر فرحان سعيد

(مدرسة الفرنشيز ليسيه) رام الله
